روايات
عالمية
للفتيان

مذكرات حمار

تأليف : الكونتيسة دي سيجور
ترجمة : الدكتور محمد هيثم



فريق التوثيق
الألكتروني

مذكرات حمار

الكونتيسة دي سيجور

محمد هيثم احمد كمال

فريق التوثيق الألكتروني
محمد رضا مهدي
أسعد علوان حسين

مذكرات حمار
ترجمة: محمد هيثم احمد كمال

الطبعة العربية الاولى ١٩٨٨
الناشر: وزارة الثقافة والاعلام - دار ثقافة الاطفال
ص ب ٨٠٤١ بغداد - العراق

سلسلة روايات عالمية للفتيان
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة : فاروق يوسف

مذكرات حمار

المقدمة

الكونتيسه دي سيجور ، التي كان اسمها وهي آنسة صوفي روستوبشين.ولدت في روسيا عام ١٧٩٩ . وهي ابنة جنرال روسي،كان حاكماً على موسكو عندما دخلها نابليون بجيوشه .

استقرت عائلتها في فرنسا وهي لم تتجاوز الثامنة عشرة من العمر ، وبعد عامين تزوجت من الكونت أوجين دي سيجور ، وولدت له ثمانية أطفال .

عندما كبرت وأصبحت جدة ، صارت تكتب القصص لأحفادها وابنائهم الذين بلغوا الواحد والعشرين . وبشكل خاص لحفيدتيها «كامي» و «مادين» اللتين كانتا تسكنان في لندن . وهكذا فقد كتبت أكثر من عشرين قصة ورواية للأطفال،وفيها جميعاً كان الابطال هم الاطفال الهادئين وغير الهادئين .

ولكن في قصة «مذكرات حمار» فأن البطل هو الحمار «كادشيون» الذي يروي ذكرياته ، عن حياته التي كانت في منطقة النورماندي (غرب فرنسا)والكونتيسه دي سيجور،تعرف جيداً هذه المنطقة،حيث أنها عاشت فيها فترة طويلة في قصر «دي نوييت» في منطقة «الأورن» قبل أن تنتقل الى بارب التي ماتت فيها عام ١٨٧٤ . وسنحاول أن ننقل الى العربية أهم إن لم نقل كل قصص وروايات الكونتيسه دي سيجور . لما تحويه من متعة . ودروس وعبر .

آملين أن تقضوا وقتاً جميلاً مع حمارنا الذكي «كادىشيون» وان تنهوا قراءتكم لمذكراته، وعندها لن تقولوا بعدها انه غبي كحمار او لا أبالي كحمار ، او عنيد كحمار . بل ستقولون : لديه عقل كحمار وهو ذكي كحمار او وديع كحمار .



السوق

البشر غير مكترثين بكل مايعرفه الحمير ، وأنتم الذين تقرأون هذا الكتاب تجهلون ماهو معروف لدى كل الحمير من أصدقائي : إن هناك في كل يوم ثلاثاء سوقاً في مدينة «ليجل» تباع فيه الخضروات ، والفواكه والزبدة والجبن والبيض وأشياء أخرى لذيذة ، وان يوم الثلاثاء هو يوم عذاب لكل أخواني المساكين،وهو كذلك بالنسبة لي أيضاً قبل أن أُشترى من قبل صاحبتي العجوز ، جدتك التي أعيش لديها حالياً ، فقد كنت قبل ذلك لدى فلاحة كثيرة المطالب وشريرة .

تصور ياصاحبي الصغير ، إن خبثها يدفعها لحد جمع كل البيض الذي تبيضه دجاجاتها ، كل الجبن والزبدة الذي تعمله من حليب أبقارها ، كل الخضروات والفواكه التي تنضج خلال الأسبوع ، لكي تملأ السلال ثم تضعها فوق ظهري ، وعندما اكون محملاً كثيراً كنت أسير بالكاد ، ولكن هذه المرأة الشريرة كانت تجلس هي ايضاً فوق السلال وتجبرني على السير بهذه الحالة ، مثقلاً ، مسحوقاً ، حتى الوصول لسوق «ليجل» الذي يبعد أربعة كيلو مترات عن المزرعة .

كنت في كل مرة بحالة من الانفعال التي لم أكن أجرؤ على اظهارها ، كوني كنت خائفاً من ضربات العصي لأن لصاحبتي عصا غليظة ، مليئة

بالعقد الخشبية تؤذيني جداً عند الضرب .

وكلما أرى وأسمع التحضيرات للسوق ، أتأوه ، أنوح ، ساعياً لطلب شفقة أسيادي .

وكانت تقول لي وهي تأتي للبحث عني : -

«هيا ، هيا ، ايها الكسول الكبير ، اخرس لاتنهق ، وتطرش آذاننا بصوتك المزعج الغليظ . هي ! هان ! هي ! هان ! اهذه هي الموسيقى الجميلة التي تسمعنا اياها ! ؟

«جل» ياولدي قرّب هذا الكسول من الباب ، لكي تتمكن والدتك من وضع الاحمال على ظهره ! هنا ! سلة البيض ... وسلة أخرى ! الجبن ، الزبد ... والخضروات . الان ! هذا حسن ! هذه الحمولة الجيدة ستجلب لنا عدداً من الفرنكات .

«ماريت» ياابنتي الصغيرة ، أجلبي لي صندوقاً ، لكي أضعه هنا فوق الحمولة !

حسناً جداً ! هيا بنا ، رحلة موفقة يازوجتي ، واجعلي هذا الكسول يسير ، خذي هراوتك ، وأضربيه بها»

- بان ! بان !

- مرة أخرى ، شيءٌ من هذه المداعبة وسوف يسير .

- طاق ! طاق !

لم تتوقف العصا من ضرب كليتي ، أرجلي ، رقبتي . نطيت ، علوت تقريباً والفلاحة تضربني باستمرار ، سخطت كثيراً من فقدان العدالة والقساوة هذه .

حاولت رفس حمولتي كي ألقي بصاحبتي أرضاً . لكنني كنت كثير الحمولة ، فلم أتمكن إلا من النط والتحرك يميناً ويساراً ، وكنت مسروراً برؤيتها تتدحرج .

«حمار شرير ! غبي ! عنيد ! ساقوم بتأديبك»

في الواقع أني شعرت بآلام كبيرة جراء ضرباتها المستمرة حتى وصولي الى المدينة ، وعند وصولنا ، رفعوا من فوق ظهري المسلوخ كل السلال ووضعوها أرضاً ، راحت صاحبتي تتناول طعام الغداء بعد ان ربطتني الى أحد الأعمدة ، وأنا الذي كنت أموت جوعاً وعطشاً ، لم يقدموا لي ولاحتى شيئاً من العلف ، او قطرة من الماء .

اثناء غياب الفلاحة ، وجدت سبيلاً للاقتراب من الخضروات ، ورطبت لساني بملء معدتي بسلة كاملة من الخس واللهانة . لم آكل في كل حياتي أكلاً شهياً كهذا وبانتهائي من أكل آخر رأسين من الخس واللهانة ، عادت صاحبتي وأطلقت صرخة قوية عند مشاهدتها السلة الفارغة . أما أنا فقد نظرت لها بشيءٍ من الرضى والتكبر ولن أعيد عليكم السباب والشتائم التي وجهتها لي اذ كانت كلماتها قاسية وبذيئة ، فهي عندما تكون غاضبة تقول أشياء تجعلني خجلاً أنا هذا الحمار .

بعد ان وجهت لي كل هذه الكلمات المُذلّة والتي لم أجب عنها إلا بلحس شفاهي وادارة ظهري لها ، الا انها أخذت العصا وراحت تضربني بقوة حتى اني فقدت صبري فرفستها ثلاث مرات ، الأولى منها كسرت أنفها وأثنتين من أسنانها ، والثانية كسرت كفها والثالثة أصابت بطنها ورمتها ارضاً .

تقدم مني عشرون شخصاً واشبعوني ضرباً ومسبّة وحملوا صاحبتي لاأعرف الى أين ، وتركوني مربوطاً بالقرب من المواد التي كنت أحملها . بقيت هكذا وقتاً طويلاً وعندما رأيت بأن لا أحد قد تذكرني فقد أكلت سلة ثانية مملوءة بالخضروات الشهية ، بعدها قطعت باسناني الحبل الذي يربطني ومشيت بكل هدوء في الطريق المؤدي للحقل .

اما الناس الذين كنت أمربهم في الطريق فكانوا يستغربون عندما يروني لوحدي . وقال أحدهم :

«أنظروا لهذا الحمار ومقوده المقطوع لقد هرب – اذن ، فهو هارب من الاشغال الشاقة» ذكر الآخر ذلك وراح الكل يضحك .

«أنه لايحمل حملاً ثقيلاً على ظهره . أجاب الثالث .

– بالتأكيد : أنه قد فعل فعلاً شنيعاً ! صاح الرابع قالت إحدى النساء .

– أمسك به يارجل ، لكي نضع الصغير على ظهره .

أجاب زوجها :

– آه ! أنه قادر على حملك أنت والطفل الصغير معاً. أنا ، لكي أعطي انطباعاً جيداً على رقتي ولطافتي ، أقتربت بهدوء من القروية وتوقفت بقربها لكي أدعها تجلس على ظهري .

قال الرجل وهو يهم بمساعدة زوجته على الصعود على ظهري :

«لايبدو هذا الحمار ، شريراً !»

ابتسمت من الشفقة عند سماعي قوله هذا :

شرير ! فالحمار الذي يعامل بلطف لايمكن أن يكون شريراً أبداً ،



فنحن لانصبح منفعلين ، غير مُطيعين بل معاندين ، الا لكي ننتقم من الضربات والشتائم التي نتلقاها . لكن عندما نعامل بشكل حسن ، فنحن حِسَان ، وربما أحسن بكثير من بقية الحيوانات .

اوصلت المرأة وآبنها الصغير ، الجميل ذا العامين من العمر الى منزلها ، راح الطفل يداعبني ووجدني وديعاً وأراد الاحتفاظ بي . لكنني فكرت بأن هذا الموقف لن يكون شريفاً ، فصحابي كانوا قد اشتروني وأنا الان ملكهم ، لقد كسرت أنف وأسنان ويد سيدتي واذيت بطنها ، وانتقمت بما فيه الكفاية .

لاحظت بأن الأم اوشكت ان ترضخ لطلب صغيرها المدلل كثيراً (اذ شعرت بذلك طول الفترة التي حملته فيها على ظهري) ، عندها قفزت جانباً ، محاولاً الابتعاد قبل أن تتمكن الأم من الامساك بلجامي وهربت مسرعاً ، عائداً الى البيت .

شاهدتني أولاً «مارييت» ابنة مالكي .

«آه ! هذا» «كادشيون» ، كيف عاد هكذا مبكراً ؟ !

«جُل» تعال أرفع عنه بردعته .

قال «جُل»:

«الحمار الشرير ، يحب دائماً الاهتمام بك ، لماذا عدت وحدك ؟

وأضاف وهو يركلني على ساقي ، لو تأكدت أنك هربت ، فساعطيك مائة ضربة عصا .»

رفع بردعتي ولجامي ، فابتعدت بعجالة وبمجرد دخولي الى المرعى سمعت صراخاً قادماً من المزرعة ، قرّبت رأسي من السياج فشاهدتهم قادمين

مع الفلاحة ، والاولاد هم الذين يطلقون الصرخات التي سمعتها بكل آذاني ، وقال «جُل» لوالده :

«سآخذ ياوالدي السوط الكبير من سائق العربة ، وسأربط الحمار الى احدى الاشجار ، وساضربه حتى يسقط أرضاً .

اذهب ، ياولدي ، اذهب ، ولكن لاتقتله ، اذ سنفقد مالنا الذي اشتريناه به ، لانني سأبيعه في السوق القادم .»

بقيت أرتجف من الهلع عند سماعهما ومشاهده «جُل» يركض باتجاه الاسطبل باحثاً عن السوط ، عندها لم يكن أمامي أي مجال للتردد ، ومن دون أي تفكير أو حيرة هذه المرة بتسببي في خسارة أموال مالكيَّ التي اشتروني بها ، فركضت باتجاه الحاجز الفاصل بيني وبين المزرعة ، وقفزت فوقه بقوة كبيرة سببت كسر الاغصان التي تمكنت من المرور خلالها ، جريت بين الحقول ، واستمر الجري . وقتاً طويلاً ، طويلاًجداً ، معتقداً دائماً بأن هناك من يتبعني .

اخيراً ، تعبت ، فتوقفت ، منصتاً ، فلم أسمع أي صوت، عندها صعدت فوق احدى الهضاب المرتفعة وتطلعت فلم أشاهد أحداً ، عندئذ بدأت بالتنفس وغمرني الفرح كوني تخلصت من تلك الفلاحة الشريرة .

لكنني تساءلت عن مصيري مستقبلاً ، فإن بقيت في هذا البلد فإن الناس سيعرفونني ، ويمسكون بي ومن ثم يقودونني الى أصحابي ، ماذا أعمل ؟ اين ساذهب ؟

تطلعت حولي ، فوجدت نفسي وحيداً ، حزيناً ، فكدت أبكي على حالي هذا ، لاحظت انني بالقرب من غابة رائعة : أنها غابة

«سانت – أيفرولت» .

«ياللسعادة ! فقد وجدت في هذه الغابة العشب الطري ، والماء ، والحشائش النضرة ، بقيت فيها عدة أيام ، وانتقلت منها الى غابة أخرى أكثر بعداً ، بعيدة جداً عن الحقل الذي يعيش فيه أصحابي السابقون» .

دخلت الغابة، ورحت آكل بسعادة من الأعشاب الطرية، وأشرب الماء من أحد الينابيع الجميلة، وبمجرد هبوط الظلام كنت أرقد على الحشائش، تحت احدى اشجار الصنوبر الكبيرة، وأغط في نوم عميق حتى اليوم التالي.

الاصحاب الجدد

عشت في الغابة شهراً واحداً بهدوء وراحة، ولكن في بعض الاحيان كنت أشعر بالضجر، لكنني كنت أفضل الحياة وحيدا على الحياة تعيساً متألماً.

إذن كنت نصف سعيد، ولاحظت بأن العشب يتناقص ويصبح قوياً والاوراق تتساقط والماء يبرد ويجمد والأرض تزداد رطوبة.

«وأسفاه! وأسفاه! كيف سأصبح؟ ان بقيت هنا فسأهلك، سأبرد، سأجوع، وأعطش، لكن أين سأذهب؟ ومن ذا الذي يريدني؟».

بعد التفكير المستمر تصورت وسيلة لايجاد مأوى، خرجت من

وذهبت لاحدى القرى الصغيرة القريبة جداً من هنا، شاهدت منزلاً صغيراً منعزلاً ونظيفاً جداً. كانت تجلس على بابه أمرأة تغزل، ولقد تأثرت بمنظرها الجميل والحزين.

اقتربت منها واضعاً رأسي على كتفها، فأطلقت المرأة صرخة. ونهضت في الحال من فوق كرسيها وبدا عليها الاضطراب.

لم أتحرك بل تطلعت اليها بنظرة رقيقة متوسلة. فقالت: —

«أيها الحيوان المسكين! انك لاتبدو شريراً، وان كنت لاتعود لاحد، فساكون مسرورة جداً، لكي تحل محل حماري المسكين العجوز الذي مات بسبب شيخوخته.

وهكذا سأتمكن من الاستمرار في كسب عيشي من خلال بيع الخضروات في السوق. لكن... لديك حتماً من يملكك، أضافت متنهدة.

— مع من تتحدثين ياجدتي؟ صاح صوت رقيق من داخل المنزل.

— أني اتكلم مع الحمار الذي جاء ووضع رأسه على كتفي، وهو ينظر لي نظرات رقيقة، والذي يقول لي قلبي أن لاأطرده».

بعدها شاهدت في الحال على عتبة الباب صبياً جميلاً عمره يتراوح بين ست الى سبع سنوات، يرتدي ملابس قديمة لكنها نظيفة. وراح ينظر لي بعين فيها الفضول والفزع.

خاطب الصبي جدته قائلاً: —

«هل يمكنني مداعبته؟ ياجدتي.

— بالتأكيد يا «جورج»، ولكن خذ حذرك، لكي لايعضك».

مدّ الصغير ذراعه ولكنه لم يتمكن من الوصول اليّ ، فقدم قدمه ثم قدم قدمه الثانية ، حتى اقترب مني وتمكن من المسح على ظهري . لم أتحرك مطلقاً ، خوفاً من إفزاعه ، فقط أدرت رأسي نحوه ، ولعقت يده بلساني .

راح الصبي يحاور جدته .

جورج :

جدتي ، جدتي ، كم يبدو طيباً هذا الحمار . لقد لعق يدي !

الجدة :

من غير المعقول أن يكون وحيداً ، أين هو صاحبه ؟

اذهب يا «جورج» الى القرية وللنزل الذي يتوقف عنده المسافرن ، وسل هناك عمن يعود له هذا الحمار ، فربما يكون صاحبه متألماً لفقده .

جورج

هل آخذ معي الحمار ، ياجدتي ؟

الجدة

سوف لا يتبعك ، بل دعه يذهب حيثما يريد .

ذهب «جورج» راكضاً ، وأنا أنط خلفه ، وعندما لاحظ باني أتبعه ، تقدم نحوي ، وداعبني قائلاً : —

«قل لي ياحماري الصغير ، كونك تتبعني ، أتدعني أركب على ظهرك ؟»

وقفز فوق ظهري صائحاً : هي ! هي !

سرت ببطء ، مما سرّ «جورج» وصاح بي : هو ! هو !

وعند مرورنا امام نزل المسافرين .

قفز «جورج» أرضاً ، وبقيت أنا واقفاً امام الباب ، دون أي حراك وكانني كنت مربوطا .

قال صاحب النزُل : «ماذا تريد أيها الصغير؟

- جئت لكي أعرف ياسيد«ديفال» ان كان هذا الحمار الواقف هنا قرب الباب ، يعود لك ، أو لأحد زبائنك .

تقدم السيد «ديفال» بأتجاه الباب ، وراح ينظر لي بعناية .

«كلا ، أنه لايعود لي ، ولا لأي شخص أعرفه ، أيها الصغير. اذهب للبحث عن مالكه في مكان آخر» .

ركب «جورج» مجدداً على ظهري ، وواصلت السير ، وعند كل باب كان الصبي يسأل ، ان كنت ملكهم ، لكن لم يتعرف عليّ أحد ، عندها رجعنا لدار الجدة التي كانت جالسة تغزل كعادتها أمام الباب .

جورج

هذا الحمار لايعود لاحد في هذه البلدة، ماذا سنعمل به ؟

أنه لايريد أن يتركني ، وهو يهرب عندما يريد احد غيري الامساك به .

الجدة

في هذه الحالة يا «جورج» يتوجب عدم تركه يقضي الليلة في الخارج ، فقد يحصل له مكروه . أذهب الى حظيرة السيد «كريزون» وأعطه حزمة من العلف وسطلاً من الماء ، وسنرى غداً عندما نأخذه الى السوق ، فقد نتمكن من العثور على صاحبه هناك .

جورج

وإن لم نجد صاحبه ، ياجدتي ؟

الجدة

سنحتفظ به لحين مجيء أحد للمطالبة به ، فلا يمكننا ترك هذا الحيوان المسكين في البرد خلال الشتاء ، ولا أن يقع بايدي الاولاد المشاغبين الشريرين الذين سيضربونه ويدعونه يموت من التعب والبؤس .

اعطاني «جورج» ماء اشربه وطعاماً آكله ، وداعبني وخرج وسمعته يقول وهو يغلق الباب : —

«آه ! كم أتمنى أن لايكون له صاحب . كي يبقى عندنا !»

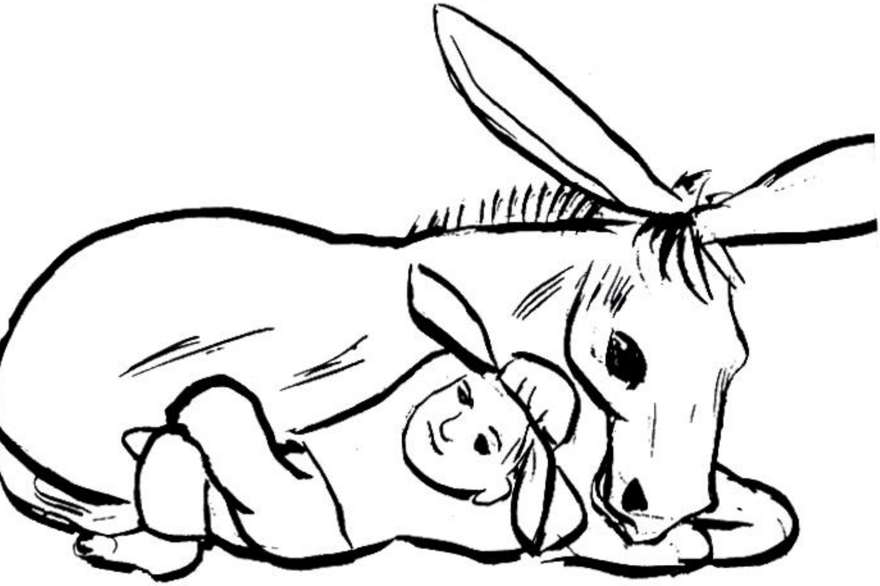
في الصباح التالي ، بعد أن اعطاني «جورج» ماآكل ، وضع لي زماماً وقادني أمام الباب فوضعت الجدة على ظهري بردعاً خفيفاً جداً وجلست عليه وجاء لها «جورج» بسلة خضروات صغيرة وضعتها على ركبتها ، وغادرنا الى سوق «ماميرس» .

باعت الجدة كل الخضروات ولم يتعرف عليَّ أحد وعدت مع اصحابي الجدد .

عشت معهم اربع سنوات ، كنت خلالها سعيداً ، لم أؤذِ أحداً ، وقمت بواجبي بشكل جيد ، أحببت صاحبي الصغير الذي لم يضربني مطلقاً ، وهم لم يتعبوني أبداً ، أطعموني جيداً ، علماً بأني لست شرهاً . وفي الصيف كنت آكل قشور الخضروات ، الاعشاب التي لاتأكلها الخيل أو البقر : اما في الشتاء فكنت آكل العلف ، قشارة البطاطس ، الجزر ، الشلغم . وهذا مايكفينا ، نحن الحمير .

سعادتي ستنتهي قريباً ، فوالد «جورج» كان جندياً ، وسيعود الى داره ، حاملاً المال الذي تركه له العقيد عند موته والصليب الذي اعطاه اياه الجنرال . وقد اشترى بيتاً في «ماميرس» وأسكن فيه ولده الصغير ، ووالدته العجوز ، وباعني الى جاره الذي يملك حقلاً صغيراً .

كنت حزيناً لتركي صاحبتي العجوز الطيبة ، وصاحبي الصبي الصغير «جورج» . فالاثنان كانا طيبين معي دائماً ومن جانبي فقد أديت واجبي كما ينبغي .



الحلية

اشتراني رجل وزوجته ، لديهم ابنة صغيرة عمرها اثنا عشر عاماً وهي مريضة منذ فترة طويلة وجراء ذلك فهي ضجرة جداً ، تعيش وحيدة في الريف ، من دون أصدقاء بعمرها ، والدها مشغول عنها ووالدتها تحبها ولاتطيق رؤيتها تتعلق أو تحب شخصاً آخر ولاحتى حب الحيوانات .

بالرغم من هذا ونزولاً عند نصيحة الأطباء بضرورة التغيير . فقد فكرت بأن التجول على ظهر الحمار سيسرها بما فيه الكفاية .

صاحبتي الصغيرة تدعى «بولين» وهي حزينة ومريضة في اغلب الأحيان رغم انها رقيقة جداً وجميلة جداً .

كانت تتجول يومياً راكبة على ظهري ، حيث آخذها في الطرق الجميلة والغابات الصغيرة الرائعة التي أعرفها جيداً .

في البداية كان يرافقها خادم أو خادمة ، لكن بعد أن لاحظوا كوني رقيقاً ، طيباً وحريصاً على صاحبتي الصغيرة ، تركوها تتجول معي وحدها .

لقد أطلقت عليَّ اسم «كادبشيون» وقد بقيت لحد الان أحمل هذا الاسم .

قال لها والدها : – «اذهبي للتجول مع «كادبشيون» ، فمع هذا الحمار

لايوجد أدنى خطر ، فهو من الذكاء بمكان وكأنه انسان ، يعرف دائماً كيف يوصلك الى البيت» .

كنا نخرج سوياً من المنزل ، وعندما تتعب من المشي ، فأني اقف بالقرب من تلة صغيرة ، أهبط في حفرة قليلة العمق لكي تتمكن من الصعود على ظهري .

آخذها بالقرب من شجرة البندق وأتوقف عندها لكي تقطف منها ماتريد على راحتها .

أحبتني صاحبتي الصغيرة كثيراً ، فكانت تداعبني وتداريني .

وعندما لايسمح الجو بالخروج ، كانت تأتي لرؤيتي داخل الحظيرة ، حاملة لي الخبز ، العشب الطري ، أوراق الخس ، الجزر ، وتبقى معي فترة طويلة ، طويلة جداً ، تكلمني ، ظناً بأني لا أفهمها .

كانت تعددلي أحزانها ، وأحياناً تلوذ بالبكاء . وهي تقول لي : — «آه ! ياكادشيون المسكين ، أنت حمار ، ولاتقدر على فهمي ، مع هذا أنت صديقي الوحيد ، حيث لك فقط أبوح بكل أفكاري . واللتي تحبني ، لكنها غيورة ، فهي تريدني أن أحبها هي فقط ، فأنا لاأعرف أحداً طيلة حياتي ، وهذا مايضجرني» .

وتجهش «بولين» بالبكاء وهي تداعبني .

أنا أحبها أيضاً ، وهي عندما تكون قريبة مني ، كنت أحاذر التحرك خوفاً من أن أجرحها بأرجلي .

في أحد الايام شاهدت «بولين» تركض نحوي فرحة جداً

وصاحت : —

«كادشيون ، كادشيون ، لقد اعطتني والدتي هذه الحِلية و بداخلها شي من شعرها ، وأريد أن أُضيف لها شيئاً من شعرك ، كونك صديق ايضاً ، وأني أحبك ، وأريد شعراً من أولئك الذين أحبهم في هذه الدنيا»

في الواقع قصت «بولين» شعراً من عُرفي ، وفتحت الحلية وخلطت الشعر مع شعر أُمها .

كنت سعيداً بحب «بولين» الكثير لي ، وكنت فخوراً برؤية شعري داخل الحُلية ، لكن يتوجب عليَّ الأقرار بأن هذا لم يترك تأثيراً جميلاً ، رمادي ، صلب ، خشن وقد أظهر شعر الأم بشع وخشن . لكن «بولين» لم تلاحظ هذا وراحت تدور بكل الاتجاهات معجبة بالحلية عندما دخلت الأم .

«ماذا ترين هنا ؟

أجابت «بولين» : أنها الحلية ياوالدتي . وهي تخفيها جزئياً .

الأم

لماذا جلبتها الى هنا ؟

بولين

لأُريها «لكادشيون» .

الأم

ياللغباوة ! في الحقيقة «يابولين» أنك فقدت عقلك مع كادشيون هذا ! وكأنه قادر على فهم ماتعني حَلية الشعر هذه .

بولين

اني أطمئنك ياوالدتي ، بأنه يفهم جيداً ، فقد لعق يدي عندما ....عندما .... ، احمرت «بولين» وسكتت .

الأم

حسناً ! لماذا لاتكملين كلامك ؟ باي مناسبة لعق كادشيون يدك ؟

بولين (مضطربة)

ماما ، أحبذ ان لاأقول لك ، فأني خائفة من معاقبتك لي .

الأم (بأصرار)

ماذا إذن ؟ هيا تكلمي . أي خطأ ارتكبتِ هذه المرة ؟

بولين

أنه ليس خطأً ياأمي ، بل بالعكس .

الأم

أذن ، من أي شئ أنت خائفة ؟ أني أراهن بأنك اعطيت «الكادشيون» المرطبان وسبب له المرض .

بولين

كلا ، لم أعطه شيئاً ، بالعكس .

الأم

كيف بالعكس ! أسمعي ، «يابولين» أنت تفقدينني الصبر ، أريد أن تقولي لي ماذا عملت ، ولماذا تركتني منذ مايقارب الساعة . في الواقع ان أخذ شئ من شعري استغرق زمناً طويلاً ، فقد توجب نزع الورقة الملصقة خلف الحِلية ، ورفع الزجاجة ، ووضع الشعر واعادة كل شئ

الى محله .

ترددت «بولين» مرة أخرى لبعض الوقت ، بعدها قالت بصوت منخفض وبتعثر كبير :

«لقد قصصت من شعر كادىشيون ... لكي .....

الأم (فاقدة الصبر)

لأجل؟ هيا! أنهي كلامك! لكي تقومي بأي شيءٍ؟

بولين (بصوت منخفض)

لكي أضع الشعر في الحِلية .

الأم (بعصبية شديدة)

في أية حلية؟

بولين

داخل الحلية التي أعطيتني إياها .

الأم (بكل عصبية)

الحلية التي أعطيتها لك وفيها شيءٌ من شعري؟

وماذا عملت بشعري؟

– أنه موجود فيها ، هذا هو . أجابت «بولين» وهي تعرض لوالدتها الحلية . فصاحت الأم بغضب شديد .

– شعري يخلط بشعر الحمار!

آه! إن هذا لايطاق .

أنت ، أيتها الآنسة لا تستاهلين ، الهدية التي أعطيتهالك .

توضع بمصاف الحمار!

تُبدين لحمار نفس المشاعر الرقيقة التي تبدينها لي ! »

أخذت الحلية بقوة من يدي «بولين» التعيسة ، المندهشة ، ورمت بها أرضاً وراحت تسحقها بأرجلها ، فكسرتها الى ألف قطعة ، ثم دون النظر الى ابنتها ، خرجت من الحظيرة وهي تغلق الباب وراءها بكل عنف .

كانت «بولين» متعجبة ، منزعجة من هذه الفورة العصبية المفاجأة . وبقيت بعض الوقت دون حراك ولم تتأخر كثيراً في الانفجار باكية ، رامية بنفسها على رقبتي ، قائلة : —

«كادشيون ، كادشيون ، أرأيت كيف يعاملونني ! ؟ أنهم لايريدون أن أحبك ، لكنني ، أحبك رغماً عنهم وأكثر منهم ، لأنك طيب وأنت لاتهينني مطلقاً ، ولاتسبب لي أي حزن ، وتبحث عن كل مايسرني في جولاتنا .

مع الأسف ! أي حزن يعتريني «ياكادشيون» كونك غير قادر على فهمي أو التحدث معي ! في الأشياء التي أُحدثك فيها !»

سكتت «بولين» ورمت بنفسها على الأرض وراحت تبكي بصوت منخفض . تأثرت أنا جداً وحزنت على آلامها، لكنني لم أكن قادراً على ارضائها ولاحتى مجرد اشعارها بأني أفهمها . لقد حملتُ غضباً شديداً تجاه هذه الأم ، التي بخطئها أو بحبها الزائد لابنتها ، تجعلها تعيسة . آه لوكنت قادراً ! لأفهمتها مدى الحزن الذي سببته «لبولين» ، الألم الذي اعتصر هذه المخلوقة الرقيقة ، لكنني غير قادر على الكلام وأرى بحزن تلك الدموع المنهمرة من عيون «بولين» .

مضى ربع ساعة منذ مغادرة الأم ، حيث جاءت إحدى الخادمات وفتحت الباب ، منادية على «بولين» قائلة لها : -

«ياآنستي ، أمك تطلبك ، أنها لاتريد بقاءك في الحظيرة مع كادشيون ولاحتى دخولك اليها ، فصاحت بولين

- كادشيون ، كادشيون المسكين ! أنهم لايريدون إذن . أن أراك بعد اليوم .

- سترينه ، ياآنستي ، ولكن فقط عندما تذهبين للتجول ، فأمك قالت إن مكانك في الصالون وليس في الحظيرة» .

لم تنطق «بولين» بشيء ، فقد عرفت بأن أمها تريد الطاعة فقبلتني للمرة الاخيرة ....

الحريق

في احدى الليالي ، كنت قد غفوت لتوي ، وإذ بصراخ يوقظني من نومي :

حريق ، حريق !

قلقت ، فزعت ، وحاولت تخليص نفسي من الحبل الذي يربطني ، فسحبته ، تدحرجت أيضاً ولكن هذا الحبل اللعين لم يتقطع .

اخيراً بدرت لي فكرة بديعة هي قطع الحبل بأسناني ، ولقد توصلت لذلك بعد جهد بسيط .

أضاءت ألسنة اللهب حظيرتي البسيطة ، وازداد الصراخ والضوضاء ، وقد سمعت عويل الخدم ، وتساقط الجدران وتهدم السقوف وتضرم اللهب ، وتغلغل الدخان في حظيرتي ، ولم يأت أحد لمساعدتي ، ولم يفكر أي شخص حتى بمجرد فتح الباب لكي اتمكن من الهرب .

ازدادت حدة اللهب ، وشعرت بالحرارة المرتفعة والتي بدأت تخنقني . فقلت لنفسي : –

«أنها النهاية ، فقد حُكِم عليَّ أن أحترق حياً ، يالهذه الميتة الشنيعة ! أوه ! «بولين» ! صاحبتي العزيزة ! لقد نسيت كادشيون المسكين» .

لم أكن قد انتهيت بعد من التلفظ بافكاري وكلماتي هذه ، حتى فتحت الباب بعنف ، وسمعت الصوت المذعور «لبولين» وهي تناديني .

سررت لانقاذي ، فتوجهت نحوها ، ورحنا نحاول اجتياز الباب ولكن ، في عين الوقت سمعنا صوت تكسُّر قوي أرغمنا على التراجع ، فقد سقطت البناية المقابلة لحظيرتي وسدت انقاضها كل المسالك . اما صاحبتي الصغيرة فكادت تهلك لكي تنقذني ، لان الدخان وغبار البناء المتهدم والحرارة بدأت تخنقها ، فسقطت «بولين» بالقرب مني . عندها تحملت فجأة هذا الموقف الخطير ، وقلت من يقدر على انقاذنا ؟

الا انني سحبت باسناني فستان «بولين» التي أُغمي عليها تقريباً ، ورحت أحاول المرور بها من خلال جسر خشبي محترق ، وقد فرحت جداً باختراقي كل شيءٌ من دون أن يشتعل فستان «بولين» ، وعندها توقفت برهة ، لارى بأي الاتجاهات يتوجب عليَّ السير ، فقد كان كل شيءٌ من

حولي يحترق .

صرت فاقداً كل أمل ، منهار العزيمة ، وضعت «بولين» على الأرض وهي مغمىً عليها كلياً ، عندها لمحت قبواً مفتوحاً ، فتوجهت نحوه مدركاً بأننا سنكون في وضع آمن داخل هذا القبو .

وضعت «بولين» بالقرب من دلو مليءٍ بالماء ، لكي تتمكن من بَلّ جبهتها وصدغيها ، حتى تعود لوعيها ، وقد تحقق ذلك بعد حين . عندما رأت بأنها قد أُنقذت وهي في امان من كل خطر ، جثت على ركبتيها وراحت تصلي شاكرة الله على نجاتها من هذا الخطر المحدق . ثم شكرتني بعد ذلك برقة وامتنان أثر فيّ كثيراً ، شربت شيئاً من ماء الدلو وأخذت أتصنت .

استمرت النار بالتقدم ، فقد احترق كل شيءٍ ، وسمعنا بعض الصرخات البعيدة ، بحيث أننا لم نتمكن من تحديد الصوت .

فقالت «بولين» : —

«مسكينة أمي ومسكين أبي ! سيظنون بأني قد هلكتُ ، لعدم سماعي كلامهم ، وذهابي باحثة عن كادىشيون ، والآن يتوجب إنتظار إنطفاء النار .

ولكننا سنقضي الليلة حتماً في هذا القبو . حسناً يا كادىشيون ، فبفضلك مازلت أنا على قيد الحياة»

لم تتحدث «بولين» بعد ذلك ، فقد جلست على كرسي مقلوب وغطت في نومها ، وكان رأسها يستند على برميل فارغ .

اما أنا فقد شعرت بالتعب وبالعطش ، فشربت ماء الدلو ؛

وانتظرت واقفاً قرب الباب من دون ان أتأخر أنا ايضاً في النوم على جانبي .

صحوت في الصباح الباكر ، في حين كانت «بولين» ماتزال نائمة ، نهضت بهدوء وتوجهت نحو الباب واجتزتها ، كان كل شيْ قد احترق ، وبالامكان بكل سهولة القفز فوق الانقاض للوصول لباحة القصر.

نهقت قليلاً (هي ! هان !) محاولاً ايقاظ صاحبتي . في الحقيقة ، بدأت هي بفتح عينيها ، فشاهدتني بالقرب من الباب ، فركضت وهي تتلفت حولها ، قائلة بحزن : —

«كل شيْ احترق! كل شيْ ضاع ! لن أرى القصر بعد اليوم ، سأموت قبل أن يعاد بناؤه فأني أشعر بهذا ، كوني ضعيفة ومريضة ، مريضة جداً ، رغم ماتقوله والدتي .

عاودت القول بعد أن بقيت صامتة وغير متحركة برهة من الزمن ، تعال «ياكادشيون» تعال ، لنخرج الأن ، فيجب أن أعثر على والدتي ووالدي لكي أطمئنهم ، فأنهم يظنون بأني قد مت ! »

عبرت «بولين» من فوق الحجارة المتساقطة والجدران المتهدمة ، والباب التي مازالت يخرج منها الدخان ، تبعتها أنا بدوري ووصلنا بعد حين الى الأعشاب وهنا ركبت على ظهري ، فتوجهت نحو القرية

لم نتأخر في العثور على البيت الذي سكن فيه والدا «بولين» بعد هروبهما من الحريق ، معتقدين بأن إبنتهم قد ماتت ، فقد كانوا في حزن كبير .

ولكن عندما شاهدوها ، إنطلقت صرخات الفرح ، وركض

الجميع نحوها . قصت عليهم كيف أنقذتها بذكائي وشجاعتي . فبدلاً من أن يتوجهوا نحوي ، للشكر او للمداعبة ، نظرت لي الأم بلامبالاة ، اما الأب فلم ينظر لي مطلقاً ، وقالت الأم :

«من أجل الحمار ، كدت أن تهلكي ياصغيرتي المسكينة ، فلو لم تراودك الفكرة الجنونية بالذهاب لفتح حظيرته وفك الحبل المربوط به ، لما كنا قضينا ليلة حزينة أنا ووالدك .

– لكن ياوالدتي ، أنه هو الذي .....

– أخرسي ، أخرسي ، أجابت الأم مقاطعة «بولين» . لاتتحدثي عن هذا الحيوان الذي أمقته والذي ربما كان قد تسبب في موتك» .

تنهدت «بولين» ونظرت لي بألم وصمتت .

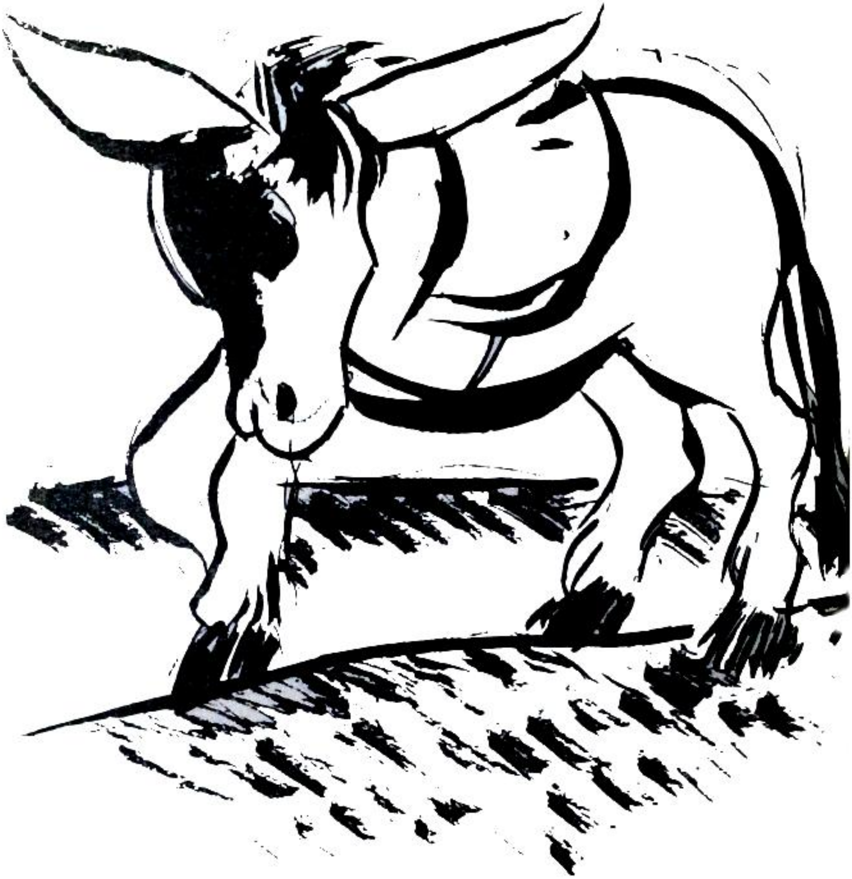
ومنذ ذلك اليوم لم أرها مطلقاً .

فالخوف الذي سببه لها الحريق ، وتعب الليلة التي قضتها من دون نوم وبشكل خاص برودة القبو ، زاد في الألم الذي كانت تعاني منه سابقاً .

فلم يفارقها ارتفاع الحرارة ليلاً ونهاراً ، لذا فقد وضعوها في فراشها وتوجب عليها عدم مغادرته .

فبر د ليلة البارحة أنهى مابدأ به الحزن والضجر ، فصدرها المريض تكفل بكل شيءٌ . فماتت خلال شهر ، غير متأسفة على الحياة ولا خائفة من الموت .

كانت تتحدث باستمرار عني وتناديني في نومها ، فلم يهتم بي أحد وكنت آكل ما أعثر عليه وأنام في الخارج رغم البرد والمطر .



وعندما شاهدت نعش «بولين» يخرج من البيت ، غلب عليَّ الحزن ، فقررت ترك هذا البلد ، ولم أعدله مطلقاً منذ ذلك الحين ..

سباق الحمير

عشت بشكل بائس بسبب طبيعة الموسم ، فقد اخترت لسكناي إحدى الغابات التي كنت اجد فيها بصعوبة بالغة ما يمنع عني الموت من المأكل والمشرب .

وعندما جمّد البرد ، العشب ، صرت آكل الثلج ، وكغذاء لم أجد غير الاشواك ، وكنت انام تحت شجرة الصنوبر .

كما كنت أذهب أحياناً قريباً من القرية الواقعة وراء الغابة لمعرفة مايجري في العالم .

في أحد ايام فصل الربيع ، عندما عاد الموسم الزاهي ، فوجئت بحركة غير طبيعية ، فقد لبست القرية حلة العيد ، فالناس تسير مجاميع ، وكل يلبس أزهى ملابسه ، وما استغربت منه بشدة كون كل حمير القرية قد جمعت في مكان واحد .

كل حمار يقف بجانبه صاحبه وهو يمسك به من لجامه ، الكل كانوا نظفاء ، مصففي الشعر والعديد منهم وضعت على رؤوسهم ورقابهم الأوراد الزاهية ، ولم يكن على أحد منهم سرج او بردعة.

قلت هذا جنون ، فرغم عدم وجود مهرجان اليوم ، اذن ما الشيء الذي يجعل كل زملائي نظفاء مزروقين ؟ » اقتربت لكي أرى مايعو

اجتماع الحمير هذا ، حتى شاهدني أحد الصبية الذين يمسكون بالحمير وراح يضحك صائحاً : -

«انظروا ! أيها الرفاق ، هذا الحمار الجميل القادم نحونا ، هل صفف شعره جيداً !

وصاح الثاني : -

- وأعتنيَ به ، وأكل جيداً !

وهل للمشاركة في السباق ؟

- آه ! إن أصر على ذلك فيتوجب تركه يتسابق ، علق الثالث . فلاحظّ في فوزه بالجائزة» .

ساد الجو ضحك عام بعد هذا الحديث .

أما أنا فقد كنت خائفاً ومضطرباً ، ضجراً من هذا المزاح السخيف لهؤلاء الصبية ، ورغم هذا فقد عرفت بأن الموضوع يتعلق بسباق .

لكن متى وكيف سيكون ذلك ؟

هذا ماكنت أريد معرفته ، فرغبت في سماع مايقولون ، جاعلاً من نفسي جاهلاً بكل مايتحدثون به .

قال أحدهم : -

«سنبدأ بعد قليل ؟

- لا أعلم ، فنحن بإنتظار العمدة .

- أين سيجري سباق الحمير ؟ »

تساءلت أمراة ضاحكة .

جانو

في مروج الطاحونة ياسيدة «ترانشيه» .

الأم ترانشيه

كم انتم من الحمير هنا ؟

جانو

أننا ستة عشر من دونك انت ياأم ترانشيه . ضحك الجميع وهم يستقبلون هذه المزحة .

الأم ترانشيه (ضاحكة)

آه ، ياللك من عفريت .

وماذا سيربح من يصل أولاً ؟

جانو

أولاً الشرف ، وبعدها ساعة فضية .

الأم ترانشيه

سأكون مرتاحة جداً للفوز بالساعة ، فانا لم يكن لديَّ مطلقاً مايمكنني من الحصول على واحدة منها .

جانو

حسناً ! لوكنت قد جلبت حماراً ، فستجعلين حظك يركض متسابقاً .

وراح الجميع يضحك .

الأم ترانشيه

من أين تريدين أن آتي بحمار ؟ فأنا لم يكن لديَّ أبداً مايمكنني من أن

أقدم له من مأكل ، ولاحتى لشراء واحد ! أعجبتني هذه المرأة ، فهي تبدو طيبة ومرحة . فراودتني فكرة جعلها تربح الساعة ، فأنا كنت متعوداً على الركض ، فكل يوم داخل الغابة كنت أقوم بنوع من السباق لكي أتدفأ ، وكنت في الماضي معروفاً بكوني أركض بسرعة ولوقت طويل ، كالحصان . فقلت لنفسي : -

«لأحاول ، فأن خسرت السباق ، فلن أخسر شيئاً ، وان ربحت فسأجعل الأم ترانشية تربح الساعة ، وانها لمتلهفة للحصول عليها»

فذهبت مع مجموعة الحمير ، ووقفت بجانب آخرهم ، وكنت فخوراًورحت أنهق بكل نشاط .

صاح أندرية : -

«مهلاً ، مهلاً ! أيها الصديق ، ستنهي هذه الموسيقى ؟ اترك المكان ، حمار ، فأنت بدون صاحب ولم تمشط شعرك وأنت غير قادر على الركض» .

بقيت صامتاً ولكني لم أتحرك من مكاني ، البعض راح يضحك والبعض غضب ، وبدأوا يتجادلون ، عندها صاحت الأم ترانشيه : -

«إن لم يكن لديه صاحب ، فسيكون لديه صاحبة ، فسأعترف أنا به ، أنه «كادىشيون» حمار الانسة المسكينة «بولين» .

لقد طردوه عندما لم تعد الصغيرة موجودة لكي تحميه ، وأنا أعتقد بأنه قضى كل الشتاء في الغابة ، حيث إن أحداً لم يرَه منذ ذلك الحين ، سآخذه إذن منذ اليوم ليصبح في خدمتي وسيركض لي»

- إذن ، أنه «كادىشيون» ! صاح الجميع في كل جانب لقد سمعت

الحديث عن «كادبشيون» الشهير هذا»

جانو :

لكن إن جعلته يتسابق لأجلك أيها الأم ترانشيه ، فيتوجب عليك وضع قطعة بيضاء بقيمة خمسين سنتيماً في حقيبةالعمدة .

الأم ترانشيه :

هذا فقط هو المطلوب ياأولادي ؟ هذه هي القطعة البيضاء ، أضافت وهي تفتح إحدى العقد في منديلها ، لكن لاتطلبوا مني قطعة أخرى ، فليس لديَّ الكثير منها .

جانو :

حسناً ! لو ربحت فلن تفقدي هذه القطعة ، فكل من في القرية وضع شيئاً في هذه الحقيبة ، وهناك مايقارب المائة فرنك .

اقتربت من الأم ترانشيه ، قمت بدورة في محلي ، قفزت ، رفست متعمداً ، بحيث إن الصبية الصغار بدأوا يخافون من رؤيتي فائزاً بهذا السباق .

فقال أندريه : —

«اسمع «ياجانو» لقد أخطأت بتركك الأم ترانشيه تساهم في المال ، فهي الآن تتمتع بالحق في إدخال كادشيون في السباق ، وهو يبدو لي متهيئاً وحاضراً لكي يخطف منا الساعة والمال» .

جانو :

ثم ماذا ! يالك من أبله ! ألا ترى الوجه الذي يتميّز به هذا المسكين كادشهون ! سيقوم بإضحاكنا ، ولن يتمكن من قطع مسافة بعيدة .

هيا . هيا .

أندريه :

أنا لاأعلم ، فلو قدمت له المرطبان لكي أدعه ينصرف ؟

جانو :

وماذا بشأن المال الذي وضعته الأم ترانشيه ؟

أندريه :

عندما يذهب الحمار ، نعيد لها المال .

جانو في الحقيقة «كادنشيون» ليس ملكها ، كما هو بالضبط ليس ملكي أو ملكك .

اذهب للبحث عن العليق ، وأحرص على أن ينصرف دون أن تشعر بذلك الأم ترانشيه .

لقد سمعت كل مادار ، وفهمت كل شيءْ . وعندما عاد «أندريه» حاملاً العليق في صدريته ، فبدلاً من أن أتوجه نحوه ، فقد اقتربت أكثر من الأم ترانشيه التي كانت منشغلة بالحديث مع بعض الأصدقاء تبعني «أندريه» اما «جانو» فقد أمسك بأُذني وأدار رأسي ، معتقداً بأني لم أشاهد المرطبان . لكنني لم أتحرك مطلقاً رغم رغبتي بتذوق الأكل .

بدأ «جانو» بسحبي ، «وأندريه» بدفعي ، الا انني رحت أنهق بكل مالديٍّ من صوت .

استدارت الأم ترانشيه ، فشاهدت ما يقوم به «أندريه» و «جانو» . «إن ماتقومون به ليس عملاً جيداً ياأولادي ، لأنكم جعلتموني أضع قطعة المال داخل حقيبة السباق ، لماذا يتوجب عليكم أن لاتأخذوا

«كادىشبون» ؟ أنكم تخافون منه ، هذا ما يبدو لي» .

أندريه :

خائفون ! حمار قذر مثل هذا ؟ آه ، كلا ، نحن لسنا خائفين .

الأم ترانشيه :

اذن ، لماذا تحاولون سحبه ، لغرض ... ؟

أندريه :

لكي نعطيه أكلاً .

الأم ترانشيه (بادياً عليها الأستهزاء)

هذا مختلف ! هذا جميل منكم ، ضعوا له الأكل أرضاً ، لكي يتناوله براحته ، وأنا كنت أظن بأنكم تريدون به خبثاً !

لاحظوا كيف بأمكاننا أن نخطئ .

كان «أندريه» و «جانو» خجلين ومنزعجين ، لكنهما لم يجرؤا على إظهار ذلك . وراح رفاقهم يضحكون من فشلهم ، وارتاحت الأم ترانشيه اما أنا فكنت فرحاً ، حيث أكلت الهرطمان بشهية وشعرت بأني حصلت على قوة جديدة بعد الأكل ، وبعد إتمام كل ما موجود أمامي ، لم أصبر على بدء الانطلاقة .

أخيراً حدثت ضجة كبيرة ، فقد اعطى العمدة الأمر لترتيب الحمير ، فرُتبوا على خط واحد وقد وقفت أنا بتواضع في آخر الصف .

عندما بدوت وحيداً ، تساءل الجميع من أنا ، ولمن أعود .

فقال «أندريه» لايعود لأحد .

أنه يعود لي ! صاحت الأم ترانشيه .

العمده :

يتوجب عليك وضع النقود في الكيس الخاص بالسباق ياأم ترانشيه .

الأم ترانشيه :

لقد فعلت هذا ياسيدي العمده .

فقال العمده : —

– حسناً سجلوا الأم ترانشيه .

– لقد قمنا بذلك ياسيدي العمده . أجاب الكاتب .

– حسناً ، ردَّ العُمده .

هل الجميع مستعدون ؟

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، انطلقوا» .

انطلق الحمير ، بعد أن ضرب كل صبي حماره بالسوط ، ولكوني كنت وحيداً ، فقد انتظرت دوري بشرف ، لكي أبدأ بالركض . لذا فقد تقدم الكل أمامي بعض الشئ . لكنهم لم يركضوا أكثر من مائة خطوة . حتى لحقت بهم .

أصبحت في مقدمة المجموعة ، وتقدمت عليهم دون أدنى عناء .

راح الصبية يصيحون ، يفرقعون الأسواط في الهواء ، لكي يثيروا حميرهم .

من طرفي كنت التفت ورائي من حين لآخر ، لكي أرى وجوههم المذعورة ، لأتأمل إنتصاري ، ولأضحك على مايبذلونه من عناء . زملائي ، قلقون ، منزعجون ، من تقدمي عليهم . انا هذا المسكين غير

المعروف ذو الهيأة التي يرثى لها .

ضاعفوا من جهدهم لكي يلحقوا بي ، ليتقدموا عليَّ ، فأعاقوا مرور احدهم للآخر .

سمعت ورائي صراخاً «فظّ ، رفس ، عض بالأسنان» . وحاولوا استهدافي مرتين ففشلوا وحاول حمار «جانو» التقدم عليَّ . وكنت على وشك الاضطرار لاستعمال نفس الأساليب التي استعملها هذا الحمار عند تقدمه على بقية الحمير ، لكنني احتقر هذه الأساليب الرخيصة ، ومع هذا رأيت عدم اهمال أي شيْ ، لكي لاأخسر . وبحماسة شديدة فقد تجاوزت منافسي . ولكن في نفس اللحظة مسك ذيلي بأسنانه ورغم الألم فلم أسقط أرضاً ، وقد اعطاني زهو الانتصار الشجاعة للافلات من أسنانه رغم اقتطاع جزء من ذيلي .

وأعطتني رغبتي بالأنتقام اجنحة ، فركضت بسرعة كبيرة ، بحيث وصلت النهاية ليس فقط أولاً ولكني تركت على مسافة بعيدة كل المنافسين الآخرين .

كنت لاهثاً ، منهوك القوى ، لكنني فرح ومنتصر . سمعت بسعادة تصفيق آلاف المتفرجين الذين يقفون على جانبي الطريق .

يملؤني الشعور بالانتصار ، وعدت بفخر ماشياً حتى المنصة التي يجلس عليها العمده الذي سيقوم بتقديم الجائزة .

تقدمت الأم «ترانشيه» نحوي ، داعبتني ووعدتني بكمية من العلف وقدمت يدها لاستلام الساعة وكيس المال من العمدة ، عندها صاح

أندريه» و «جانو» : -

«توقف سيدي العمده ، فهذا ليس بعدل ، فلا أحد اعترف بهذا الحمار ، وهو لايعود للأم ترانشيه وإلا فهو يعود لأي شخص . لذا فأن هذا الحمار لايدخل في الحساب . وحماري هو الذي وصل أولاً مع حمار «جانو» ، والساعة والمال يجب ان يكونا لنا .

- هل ان الأم «ترانشيه» لم تضع قطعة نقود في كيس السباق ؟

- نعم قامت بذلك ، سيدي العمده ولكن ... .

- هل اعترض أحد من الحضور على ذلك ؟

- كلا ، سيدي العمده ، ولكن ....

- في لحظة بدء السباق هل إحتج أحدكم على ذلك ؟

- كلا سيدي العمده ، ولكن ....

- إذن فأن حمار الأم ترانشيه قد ربح الساعة والمال عن حق.

- اجمع ياسيدي العمده ، مجلس البلدية لكي يحكم في هذه المسألة فأنت وحدك لاتملك هذا الحق .»

بدا لي العمدة بلا رأي ، ولاحظته متردداً ، عندها وبحركة مفاجئة أخذت الساعة والمال بأسناني ووضعتها في يدي الأم «ترانشيه» ، التي كانت مضطربة ، مرتجفة ، تنتظر قرار العمدة .

هذا العمل الذكي أثار ضحك الجميع مما دعاهم للتصفيق لي فقال العمدة ضاحكاً : -

«لقد حُسم الأمر بواسطة الفائز لصالح الأم ترانشيه .

السادة أعضاء المجلس البلدي . هيا لنقرر إن كنت على حق في الحكم بفوز هذا الحمار . وأضاف بمكرٍ ناظراً نحو «أندريه و جانو». ياأصدقائي أعتقد بأن أكثرنا حماراً ليس هو حمار الأم ترانشيه .

– برافو ! ، برافو ! سيدي العمده .

صاح الجميع من كل جانب . وضحك الحضور باستثناء «أندريه» و «جانو» اللذين توعداني بقبضات أيديهم .

وأنا ، هل كنت سعيداً ؟

كلا ، كلا ، فكبريائي قد مُسَّ ، حيث إن العمده قد شتمني باعتقاده أهانة لأعدائي عندما وصفهم بأنهم حمير ، فهذا كنود وهذا تجني .

فقد أبديت شجاعةً وصبراً وتواضعاً وذكاءً ولكن أين كانت مكانتي ؟

فبعد أن شتموني ، تركوني وحيداً . وحتى الأم «ترانشيه» في غمرة فرحها بالحصول على الساعة والمائة وخمسة وثلاثون فرنكاً ، نسيت الوعد الذي قطعته لي بأعطائي كمية من العلف ، وغادرت مع بقية الناس من دون اعطائي مكافأتي التي فزت بها بجداره .

السادة الطيبون

بقيت إذاً وحيداً في المرج ، كنت حزيناً ، وراح ذيلي يؤلمني ، فتساءلت ألم يكن الحمير أفضل من البشر؟ آذاك شعرت بيدٍ ناعمة تداعبني ، وسمعت صوتاً ليس بأقل نعومةً يقول لي : –

«أيها الحمار المسكين ! لقد كانوا شريرين معك ! تعال ، أيها الحيوان المسكين ، تعال لنذهب عند جدتي ، فستعطيك أكلاً وستهتم بك أفضل من أصحابك وسادتك السيئين ايّها الحمار المسكين ! كم أنت نحيل ! »

أستدرت فرأيت صبياً صغيراً جميلاً ، عمره خمس سنوات وأخته التي معه تبدو أكبر بثلاث سنوات تسير بعجالة مع خادمتها

جان :

«جاك» ماذا تقول لهذا الحمار المسكين ؟

جاك :

أني أقول له . تعال للعيش عند جدتي ، فهو وحيد ، هذا الحيوان المسكين !

جان :

نعم يا «جاك» خذه . إنتظر سأركب على ظهره .

مُربيتي ، مُربيتي ، ضعيني على ظهر الحمار . وضعت المربية البنت الصغيرة على ظهري وأراد «جاك» سحبي ولكنني كنت من دون زمام فقال : –

«أنتظري يامربيتي . سأربط رقبته بمنديلي» .

حاول ذلك الصغير «جاك» ، لكن رقبتي كانت غليظة جداً واكبر بكثير من منديله الصغير ، فأعطته المربية منديلها ، الذي كان هوالآخر قصيراً أيضاً ، فقال «جاك» وهو يهم بالبكاء : –

«ما العمل ، يامُربيتي ؟»

المربيه :

لنذهب الى القرية ونطلب حبلاً أو زماماً ، تعالي يا «جان» إنزلي من على ظهر الحمار .

جان :

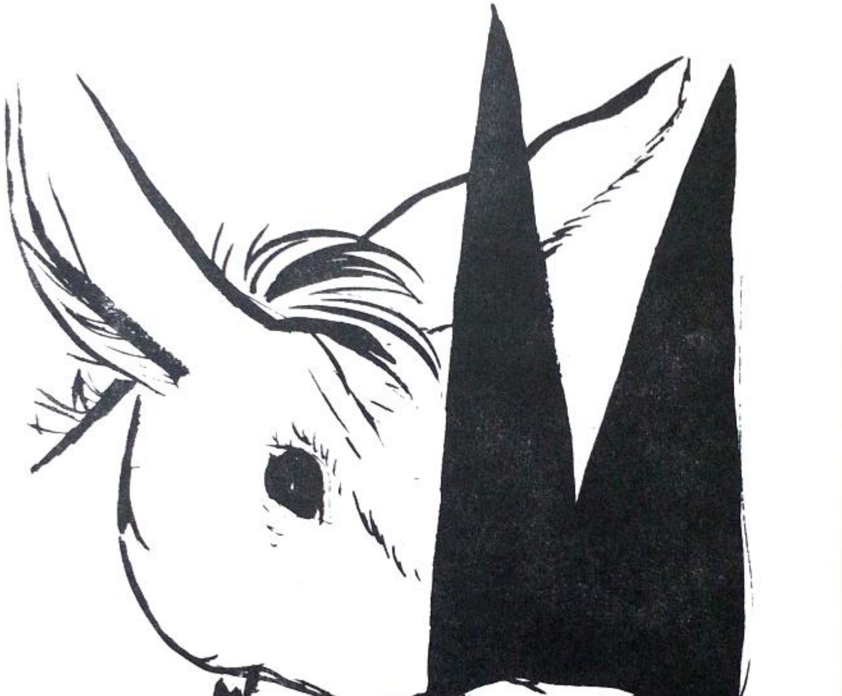
كلا ، لا أريد النزول ، أريد البقاء على ظهر الحمار ، أريد أن يأخذني الى المنزل .

المربيه :

لكننا لانملك زماماً لنجعله يسير ، فأنت ترين انه لايتحرك وكأنه حجر .

جاك :

أنتظري يامربيتي ، سترين أبتداءً أني أعرف أن آسمه «كاديشيون» الأم ترانشيه قالت لي هذا ، سأداعبه وأُقبله وأعتقد بأنه سيتبعني



تقدم «جاك» من أذني وقال لي بصوت منخفض وهو يداعبني «تحرك ياصغيري كادبشيون ، أرجوك سِر»
أثرت بي ثقة الصبي الصغير وأثّرت بسرور كونه بدلاً من أن يستعمل العصا لجعلي أتقدم ، لم يعتمد إلا وسائل الرقة والصداقة .
في الحال ولم يكن بعد قد أنهى جملته ومداعباته ، بدأت بالسير فصاح «جاك» وقد إحمر لونه من الفرح ، ولمعت عيناه من السعادة ، وركض الى الأمام لكي يرشدني الى الطريق : —
«أرأيت يامربيتي ، لقد فهمني ، أنه يحبني !»

المربيه :

هل الحمار قادر على فهم شيء ؟
أنه يمشي كونه ضجراً هنا .

جاك :

لكن يامربيتي ، أترين بأنه يشبعني .

المربيه :

لأنه يشم رائحة الخبز الذي تضعه في جيبك .

جاك :

هل تعتقدين بأنه جوعان ؟

المربيه :

ربما ، أترى كم هو نحيل ؟

جاك :

هذا صحيح ! كادبشيون المسكين ! وأنا كيف لم أفكر بإعطائه

خُبزي .

وأخرج من جيبه قطعة الخبز التي أعطته أياها المربية ليأكلها إن حس بالجوع وقدمها لي .

بعد أن هوجمت بالأفكار السخيفة للمربية ، أردت أن أُثبت لها بأنها قد حكمت عليَّ بسوء ، فأنا لم أتبع «جاك» لمصلحة وأني حملت «جان» على ظهري للطفي ، وطيبتي .

لذا رفضت أكل الخبز الذي قدمه لي الصغير الطيب «جاك» وتعمدت إرضائه بلحس يده .

جاك :

أيتها المربية ، مُربيتي ، لقد قَبلَّ يدي ، وهو لايريد خبزي !

عزيزي «كادبشيون» الصغير ، كم أُحبك ! هل ترين يامربيتي انه يتعبني لأنه يحبني وليس لكي يحصل على الخبز .

المربيه :

حسن ماحصل لك . إن كنت تظن بأنك حصلت على حمار ليس كبقية الحمير ، حمار نموذجي .

أنا ، أني أعرف كل الحمير عُند واشرار . وأنا لاأحبهم .

جاك :

أوه ! يامربيتي . «كادبشيون» المسكين ليس شريراً . أتلاحظين كم هو طيب معي ؟

المربية :

سنرى جيداً إن آستمر هكذا .

- اليس كذلك ياكاديشيون ، حيث ستكون طيباً دائماً معي ومع «جان» ؟ قال «جاك» وهو يداعبني .

التفتُ نحوه ونظرت اليه نظرة رقيقة ، فهمها رغم صغر سنه ، ثم استدرت تجاه المربيه ورمقتها بنظرة مُريبة ، فهمتها جيداً حيث قالت في الحال : -

«ياللعين المُريبه ! يبدو عليه أنه شرير ! لقد رمقني وكأنه يريد أفتراسي !

قال «جاك» : -

أوه ! يامربيتي . كيف تقدرين على أن تقولي ذلك ؟

لقد نظر لي نظرة مليئة بالرقة وكأنه يريد تقبيلي ! »

الاثنان كانا على حق ، وأنا لم أكن مخطئاً ، لقد عاهدت نفسي على أن أكون ممتازاً مع «جاك» و «جان» والأشخاص الذين سيكونون طيبيز معي في المنزل ، ولديَّ الافكار السيئة التي تجعلني شريراً مع أولئك الذين سيعاملوني بسوء أو الذين يشتموني كما فعلت المربية معي . وخاصية الانتقام هذه كانت لاحقاً سبباً في العديد من مصائبي .

في المسير كنا نتجاذب أطراف الحديث ، وسنصل بعد قليل الى قصر جده «جاك» و «جان» .

تركوني واقفاً على الباب ، حيث بقيت كحمار مؤدب بشكل جيد ، من دون حراك وحتى من دون تذوق العشب المحاذي للطريق الرملي .

بعد دقيقتين ، عاد «جاك» تسير وراءه جدته ، وقال : -

«تعالي أنظري ياجدتي ، تعالي أنظري كم هو رقيق ، وكم ! لاتصدقي مربيتي أرجوك»

- كلا ياجدتي ، لاتصدقي أرجوك . وتابعته «جان»
- ثم قالت الجدة مبتسمة ، لنرَ هذا الحمار الشهير !
اقتربت مني ، أمسكت بي ، داعبتني ، سحبت أذنيّ ، وضعت يدها في فمي دون أن أُبدي أي امتعاضٍ أو حتى الابتعاد .

الجدة :

إنه يبدو رقيقاً جداً . ماذا تقولين إذن يا «أميلي» هل يبدو عليه كونه شريراً ؟

جاك :

اليس هكذا ياجدتي ؟ ، أليس هو طيباً ، بحيث يتوجب علينا الاحتفاظ به ؟

الجدة :

عزيزي الصغير ، أني أعتقد بذلك ايضاً ، لكن كيف يمكننا الاحتفاظ به ، وهو ليس لنا ؟
ويتوجب علينا إعادته الى صاحبه .

جاك :

إنه بلا صاحب ، ياجدتي .

قالت «جان» التي تعيد دائماً كل ما يتحدث به اخوها «جاك»

الجدة :

كيف بلا صاحب ؟ هذا مستحيل .

جاك :

بلا صاحب ، ياجدتي ، هذه هي الحقيقة ، فقد أخبرتني بذلك

الأم ترانشيه .

الجدة :

إذن كيف ربح الجائزة في السباق للأم ترانشيه ؟! كونها أخذته لكي يركض لها . وهي قد تكون طلبته من شخص آخر .

جاك :

كلا ياجدتي ، لقد جاء لوحده ، كان يرغب بالركض مع الآخرين والأم ترانشيه اشركته لكي تأخذ مايربحه ، لكنه بلا صاحب :

إنه «كاديشون» ، حمار المسكينة «بولين» التي ماتت ، وقد طرده والدَاها وقضى الشتاء كله في الغابة .

الجدة :

كاديشيون ! كادشيون المشهور الذي أنقذ من الحريق صاحبته الصغيرة ؟

آه ! أني مرتاحة جداً لمعرفته ، أنه حقاً حمار غير أعتيادي ورائع ! .

راحت تدور حولي ، وتحدق بي طويلاً ، كنت فخوراً بسمعتي الطيبة هكذا ، صرت مختالاً بذلك ، فتحت مناخيري اهززت عُرفي

قالت الجدة : —

«كم هو نحيل ! هذا الحيوان المسكين ! أنه لم يكافأ لشطارته ، تحدثت الجدة بكل جدية وبصوت يشير الى عدم رضاها لما حصل .

احتفظوا به يا أطفال ، احتفظوا به لأنه قد تُرِك وأُهمِل من قبل أولئك الذين كان يتوجب عليهم أن يحبوه ويرعوه .

أدعُ «بولاند» لكي يضعه في الحظيرة ، ويهيئ له فراشاً جيداً .

فَرِح «جاك» وركض باحثاً عن «بولاند» الذي حضر في الحال
الجدة :

يا «بولاند» ، لقد جلب الأولاد هذا الحمار ، ضعه في الحظيرة وأعطه ما يأكل ويشرب .

بولاند :

أيتوجب تسليمه الى صاحبه بعد ذلك ؟

الجدة :

كلا ، أنه بلا صاحب ، يظهر أنه «كادشيون» الشهير الذي طُرِدَ بعد موت صاحبته الصغيرة ، وقد جاء الى القرية .ووجده أحفادي الصغار متروكاً في المرج ، وجلبوه الى هنا وسوف نحتفظ به لدينا .

بولاند :

حسناً ما تفعلي سيدتي ، بإبقائه ، فلا يوجد نظيره في كل البلاد . لقد قصوا عنه أشياء مدهشة حقاً . فيقال بأنه يسمع ويفهم كل مايقال وسترى سيدتي .

تعال يا «كادشيون» ، تعال لتأكل شيئاً من الهرطمان، استدرت بعدها ، تابعاً «بولاند» حيث ذهب .

فقالت الجدة : —

«إنَّ هذا مدهش ، لقد فهم حقاً»

عادت الجدة الى البيت ، ورغب «جاك» و «جان» بمرافقتي الى الحظيرة .

وضعوني داخل المربط ، وكان يشاركني في الحظيرة حصانان وحمار .

وقام «بولاند» يساعده «جاك» بتهيئة فراش جيد ، وراح يبحث لي عن كمية من الهرطمان .

أكلت كل الهرطمان ، فرحاً بكوني جُلبت الى هنا بواسطة «جاك» الصغير الطيب .

تمددت على القصب ، فوجدت نفسي مضطجعاً كأني ملك ورحت نائماً .

اللصوص

اجتمع كل الأطفال في باحة المنزل وجمع كذلك الكثير من الحمير من كل القرى المجاورة . عرفت تقريباً كل أولئك الحمير الذين شاركوا في السباق .

راح حمار «جانو» ينظر لي نظرة فظة في حين أني رمقته بنظرات مستهزئة .

وكل هؤلاء الأطفال الصغار يسكنون تقريباً مع جدة «جاك» وهم : —

«كامي» ، «مادلين» ، «أليزابيث» ، «هنريت» ، «جان» ، «بيير» ، هنري» ، «لويس» و «جاك» .

خرجنا جميعاً ذاهبين الى الغابة حيث سيشاهد الأطفال آثاراً رائعة لدير قديم وكنيسة قديمة ، وإن لهذه الآثار سمعة سيئة مخيفة في كل البلد .

فلا أحد يذهب إليها إلا بتجمع كبير.

حيث يقال. إن أصواتاً من بين الأطلال، تأوهات، صرخات صليل سلاسل حديدية.

والعديد من الزوار الذين أستخفوا بهذه الروايات والذين أرادوا زيارة الآثار وحدهم، لم يعودوا ولم يسمع أي حديث حولهم بعد ذلك.

عندما نزل الجميع على ظهور حميرهم، تركونا نرعى، وأمسك الآباء والأمهات بأيدي أطفالهم ومنعوهم من الابتعاد وأمروهم بالبقاء وراءهم.

رأيتهم بقلق وهم يبتعدون. ويختفون داخل الآثار. ابتعدت أنا أيضاً عن رفاقي، ووقفت في الظل تحت أحد الأقواس نصف المتهدم والكائن على مرتفع يطُل على الغابة ويبعد بعض الشيء عن الدير.

مضت ربع ساعة على وقوفي هنا، وإذ بي أسمع ضوضاء قرب القوس، فبقيت داخل أحد الجدران السميكة المتهدمة، حيث كان بمقدوري الرؤية من بعيد، دون أن يراني أحد.

أخذت الأصوات بالإزدياد وكان يبدو أنها تصدر من باطن الأرض.

لم يطل الوقت فقد رأيت رأس رجُل يخرج بحذر من مدخل العليق (أشواك الغابة).

وقال بصوت منخفض جداً، بعد أن تطلّع من حوله: —
«لاشيء... لاأحد... أنكم تقدرون على المجيء أيها الرفاق وليأخذ كل

منكم حماراً ويجلبه بحَذَق .»

وفسح المجال لمرور بحدود اثني عشر رجلاً وقال لهم بصوت منخفض أيضاً : —

«لو هرب الحمير فلا تركضوا وراءهم . بسرعة بل من دون أدنى صوت . هذه هي التعليمات» .

إنسل الرجال بمحاذاة الغابة . الكثيفة الشجر في هذا الجزء . المشي بحذر لكن بسرعة ، أما الحمير فكانت تبحث عن الظل وتأكل العشب قرب تخوم الغابة .

وبإشارة متفق عليها ، أخذ واحد من اللصوص حماراً وسحبه من زمامه داخل الأشجار الكثيفة . والحمير بدلاً من أن تقاوم ، وتعارك وتنهق لكيّ تجلب الانتباه ، قُيِّدت مثلها مثل أي مغفل .

والخراف ماكانت أكثر إنقياداً منها . بعد خمس دقائق وصل اللصوص الى الأشجار الكثيفة الواقعة عند القوس وأُدخِل زملاني الخمير الواحد بعد الآخر داخل العليق ، حيث أختفى الجميع .

سمعت ضوضاء أقدامهم تحت الأرض وبعدها عَمّ السكون كل شيءْ .

«إذن هذا هو التفسير للضوضاء التي تخيف البلد : انهم عصابة من اللصوص تختفي داخل كهوف الدير ، لذا يتوجب الامساك بهم .

ولكن كيف؟ هذه هي المعضلة» .

بقيت متخفياً تحت القوس ، من حيث أرى الآثار بالكامل ومن حولها كل البلد . ولم أخرج إلا عند سماعي أصوات الأطفال الذين راحو

يبحثون عن حميرهم .

ركضت لكي أمنعهم من الاقتراب من القوس ومن العليق الذي يخفي جيداً مدخل الممر تحت الأرض ، والذي تستحيل ملاحظته .

صاح «لويس» : —

«هذا كادىشيون !

— لكن أين الآخرون ، تساءل في نفس الوقت كل الأطفال .

— يتوجب عليهم أن يكونوا هنا . قال والد «لويس» إبحثوا عنهم وقال والد «جاك» .

— حسناً ، لنبحث عنهم بجانب الوهدة الصغيرة وخلف القوس الذي أراه هناك ، فالعشب جيد هناك ، فربما أرادوا تذوقه ، لقد أرتجفت وأنا أفكر بالخطر الذي قد يواجهونه ، فرحت بأتجاه القوس لكي أمنعهم من المرور .

أرادوا إبعادي ولكني قاومتهم بكل ما أوتيت من قوة ، قطعت عليهم كل السبل في كل الاتجاهات التي أرادوا المرور منها ، بحيث إن والد «لويس» أوقف نسيبه قائلاً له : —

«اسمع ياعزيزي : إن مقاومة كادىشيون تشير لشيءٌ غير اعتيادي .

وأنت تعلم ماذا يقال عن ذكاء هذا الحيوان . إسمعوه وصدقوني وعودوا الى حيث كنا .

من جانب آخر فقد يكون محتملاً وجود الحمير جميعاً في الجهة الأخرى من الآثار .

— أنك على حق ، ياعزيزي ، أجاب والد «جاك» ، أني أرى العشب

متكسراً قرب القوس وكأنه ديس حديثاً ، أني أعتقد بأن الحمير قد سُرِقت»

عادوا باتجاه أمهاتهم ، اللاتي منعن الأطفال من التفرق . تبعتهم القلب مضطرب وفرح ، لتمكني من تجنب مأساة كبيرة .

تحدثوا بأصوات خافتة ، ولقد رأيتهم يتحلقون في مجاميع وصاحوا عليَّ .

«ماذا سنفعل ؟ فحمار واحد غير قادر على حمل كل الأطفال قالت والدة «لويس» .

وأجابتها والدة «جاك» :

– ضعوا الصغار جداً على ظهر «كادبشيون» والأكبر بإمكانهم السير

وقالت والدة «هنريت» :

– تعال يا «كادبشيون» لنرَكم بامكانك أن تحمل» .

بدأوا بوضع «جان» كونها الأصغر ، ومن ثم «هنريت» ، بعدها «جاك» و «لويس» ولم يكن هؤلاء أو أولئك بالثقلاء . ولقد لاحظت عند المسير ، بأني أحملهم بشكل جيد ، الأربعة بلا أي شعور بالتعب .

وصاح الآباء : –

«مهلاً ! أوه ! كادبشيون ، سر ببطء لكي نكون قادرين على إمساك أطفالنا» .

سرت متحركاً ببطء ، محاطاً من قرب بالأطفال الكبار و بالوالدات . أما الآباء فكانوا يتبعوننا لكي يتابعوا المتأخرين .

في الحال وبمجرد عودتهم ، تحدث الآباء الثلاثة للجدة عن احتمال

سرقة الحمير .

ووضعوا بعد ذلك الخيل لجر العربة ، للذهاب لأجراء الدعوة القضائية في مخفر الشرطة الواقع في المدينة المجاورة .

عادوا بعد ساعتين مستصحبين معهم ضابط الشرطة وستة من الشرطة .

وكانت معرفتهم بذكائي كبيرة ، حيث أنهم حكموا على الوضع كونه خطراً بمجرد معرفتهم بمدى المقاومة التي أبديتها لمنعهم من المرور نحو القوس .

كان كل الشرطة مسلحين بالمسدسات ، البنادق وجاهزين للخروج كحمله .

ومع هذا فقد قبلوا دعوة العشاء التي قدمتها لهم الجدة ، وجلسوا على المائدة مع السيدات والسادة .

السراديب

لم يستغرق العشاء وقتاً طويلاً ، فالشرطة كانوا على عجلة لكي يقوموا بتحرياتهم قبل حلول الليل ، وقد طلبوا من الجدة ، السماح بأخذي معهم . وقال لهم الضابط : —

«سيكون عوناً لنا في حملتنا هذه ، ياسيدتي . فكاديشيون هذا ليس حماراً

اعتيادياً ، فقد قام سابقاً بأعمال أكثر صعوبة من العمل الذي نطلبه منه الآن .

فأجابت الجدة : –

– خذوه ، أيها السادة . أن كنتم تعتقدون بضرورة وجوده . لكن لا تتعبوه كثيراً ، أرجوكم . فهذا الحيوان المسكين كان قد سار في نفس الطريق صباح اليوم . وعاد على ظهره أربعة من أحفادي .

أجابها الضابط :

– فيما يتعلق بهذا ياسيدتي ، فبامكاني أن تكوني مرتاحة . وكوني متأكدة من كوننا سنعامله بكل مايمكننا من رقة» .

اعطوني طعام العشاء الخاص بي : مكيالاً من الهرطمان ، وبعض الخس وجزراً وخضروات أخرى . وعندما جاءوا لأخذي ، وضعت نفسي أولاً في مقدمة المجموعة ، وتحركنا في الطريق .

إن الحمار قام بدور المرشد للشرطة ... !

أثناء السير في الطريق ، قدموا لي كل الرعاية الممكنة ، فكانوا يقللون من سرعة خيلهم عندما يظنون بأني متعب ، ويقترحون عليَّ شرب الماء من كل جدول نجتازه .

بدأ النهار يقترب من نهايته ، عندما وصلنا الى الدير ، فأعطى الضابط الأمر بإتباع كل حركاتي والسير معاً جميعاً .

وكون خيلهم قد تكون سبباً في إعاقتهم ، فقد تركوها في قرية مجاورة للغابة .

أرشدتهم دون تردد الى المدخل عند القوس في العليق . حيث كنت

قد شاهدت خروج اللصوص الأثنى عشر.

لاحظت بقلق بأنهم بقوا قرب المدخل ولغرض إبعادهم خطوات بعض الخطوات خلف الجدار فتبعوني ، وعندما خرجوا جميعاً ، رجعت نحو العليق ، مانعاً اياهم من التقدم إن أرادوا ملاحقتي ، فهموني وبقوا مختبئين على طول الجدار

اقتربت عندها من مدخل السراديب ورحت أنهق بكل مالديَّ من قوة ولم أتأخر في الحصول على ما كنت أريد ، فكل زملائي من الحمير المسجونين داخل الأقبية الصغيرة ردوا عليَّ بالتنافس . تقدمت خطوة نحو الشرطة . الذين فهموا لعبتي ورجعت الى موقعي قرب السراديب .

ورحت أنهق مجدداً :

في هذه المرة ، لم يرَّد عليّ أحد ، فخمنت بأن اللصوص ، لكي يمنعوا الحمير من الوشاية بهم ، فقد علقوا الحجارة بذيولهم . والكل يعلم ، حين ينهق الحمار فأن عليه أن يجعل ذيله مستقيماً ، ولكن بفضل وزن الحجارة فأن زملائي أخرسوا ولم ينهقوا هذه المرة بقيت على بعد خطوتين من المدخل ، عندما رأيت رأس رجل يخرج من بين العليق وينظر بحذر ، فلم يرَ غيري ، فقال : -

«أنه هذا الخبيث ، الذي لم نأخذه هذا الصباح ، ستلتحق بزملائك ايها الزعّاق» .

لكن عندما أراد الامساك بي ، أبتعدت خطوتين ، تبعني ، أبتعدت مجدداً ، لحد أني أوصلته لزاوية الجدار الذي يختني وراءه أصدقائي الشرطة . وقبل أن يتمكن اللص من إطلاق مجرد صرخة فقد أمسكوا

به ، وقيدوه بالحديد وطرحوه أرضاً .

عدت الى مدخل السراديب وبدأت أنهق من جديد ، لم أشك بأن أحدهم سوف يخرج ليرى ماحل بصاحبهم . ففي الواقع سمعت بعد قليل حركة بين العليق . ورأيت رأساً جديداً يظهر ، تطلع أيضاً بحذر ولم يتمكن هذا مني . فلقد قمت بنفس العملية السابقة وسلمته الى الشرطة من دون أن يتمكن من معرفة مايدور حوله .

وأعدت الكرة مرة أخرى وأخرى ، حتى أُلقي القبض من قبل الشرطة على ستة لصوص .

بعد القاء القبض على اللص السادس ، نهقت بشدة دون أن يخرج أحد خمنت بأنهم عندما لم يروا أحداً قد عاد من رجالهم الذين ذهبوا لاستقصاء الأخبار عن رفاقهم ، شك اللصوص بوجود فخ ولم يتجرا احد منهم على المخاطرة .

أثناء ذلك حَلَّ الليل تماماً ولم نعد نشاهد شيئاً تقريباً .

فأرسل ضابط الشرطة أحد رجاله للاستعانة بقوة إضافية لغرض مهاجمة اللصوص داخل السراديب وان يأخذ في عربة اللصوص الستة الذين أمسكوا بهم مُوثقين .

وأعطيت الأوامر للشرطة المتبقين للتوزع على مجموعتين لمراقبة مخارج الدير ، أما أنا فقد تركوني أتصرف تبعاً لما يدور في ذهني ، بعد أن شكروني كثيراً وداعبوني على حسن تدبيري للأمور .

في هذه الأثناء سمعت صوتاً غير طبيعي ، يصدر من جهة القوس وهو ليس بوقع أقدام بل هو اقرب الى التكسُّر أو الصرخات المخنوقة

سمع الشرطة الأصوات أيضاً ، لكن دون معرفة ماهي .

أخيراً تسرب دخان أبيض كثيف من أماكن عديدة ومن النوافذ الواطئة للدير ، بعدها انطلق اللهيب وخلال اللحظات التالية كان كل شيئ يحترق . فقال الضابط : –

«لقد اضرموا النار في السراديب لكي يتمكنوا من الهرب خلال الأبواب .

– يجب علينا إطفاء الحريق ، ياضابطي . أجاب .

– خذوا حذركم ! راقبوا كل المخارج بشكل جيد وإن ظهر اللصوص ، اطلقوا عليهم النار من بنادقكم ومن ثم استعملوا المسدسات .

لقد كان حدس الضابط في محله ، حول ما يمكن أن يقوم به اللصوص . فلقد عرفوا بأنهم قد انكشفوا وأن رفاقهم قد ألقي القبض عليهم . وظنوا بأنهم بفضل الحريق وإنشغال الشرطة بإخماده سيتمكنون من الهرب واطلاق رفاقهم .

بعد حين خرج ستة لصوص وزعيمهم مسرعين من أحد المخارج متخفين بواسطة العليق ، وكان في هذا المكان ثلاثة شرطة فقط ، فأطلق كل واحد منهم إطلاقة من بندقيته ، قبل أن يتمكن اللصوص في استعمال اسلحتهم .

سقط إثنان من اللصوص اما الثالث فسقط منه مسدسه حيث كُسرت يده .

لكن الثلاثة الآخرين وزعيمهم فقد إندفعوا نحو الشرطة الذين كانوا يمسكون السيف بيد والمسدس باليد الثانية .

قاتلوهم كا لأسود وقبل أن يتمكن الضابط والشرطيان الاخران من الاسراع لنجدة رفاقهم . كانت المعركة تكاد تكون منتهية . لدى اللصوص كانوا أما قتلى أو جرحى . ولكن رئيسهم كان ما يزال يقاتل أحد الشرطة وهو الوحيد الذي يقف على قدميه من بين كل اللصوص . اما الاثنان الآخران فكانت جراحهم خطيرة .

وقد انهى المعركة وصول تعزيزات الشرطة . في لمح البصر كان رئيس اللصوص محاطاً ، مجرداً من سلاحه ، موثوقاً وملقى أرضاً قرب اللصوص الستة المعتقلين .

أثناء المعركة . أطفئت النار .فما إحترق لم يكن إلا العليق وبعض الأخشاب الرقيقة . لكن قبل الدخول داخل السراديب ، إنتظر الضابط وصول التعزيزات التي سبق وأن طلبها .

تقدم الليل عند مشاهدتنا وصول ستة شرطة جدد والعربة التي ستنقل السجناء .

فمددوا الواحد جنب الآخر داخل العربة . والضابط كان إنسانياً حيث أعطى الأمر بفك السلاسل الحديدية من أيديهم بالشكل الذي راحو فيه يقذفون الشرطة بأنواع الشتم والسباب . لكن الشرطة لم يعيروا أية أهمية للموضوع .

صعد إثنان من الشرطة الى العربة لمرافقة السجناء ، واستلموا النقالات لكي يحملوا الجرحى ، خلال هذه التحضيرات كنت أرافق الضابط ، عندما نزل داخل السراديب ، حيث كان اللصوص قد هيأوا أماكن أقامتهم ، كان أحد هذه الأبنية الصغيرة . مستعملاً كحظيرة

حيث وجدنا هناك كل زملائي من الحمير الذين أخذوا من القرية وكان قد عُلق في ذيل كل واحد منهم حجر ، حرروا في الحال فراحوا ينهقون بنغمة واحدة فكان الصوت داخل السراديب يطرش الآذان . فصاح أحد الشرطة :

«إصمتوا أيها الحمير ! وإلا فسنعيد ربط الحجارة بذيولكم» .

– دعهم يتحدثون ! أجابه شرطي آخر . أنت ترى جيداً بأنهم يغنون ثناءً لكادشيون .

أفضل أكثر أن يغنوا على طبقة صوتية أخرى قال الشرطي الأول ضاحكاً .

فسألت نفسي قائلاً :–

«هذا الرجل لا يحب الموسيقى بشكل اكيد ، فماذا يجد من عيب في أصوات زملائي ؟ هؤلاء الزملاء المساكين ! أنهم يغنون فرحاً باطلاق سراحهم .

استمر التفتيش ، فوجدنا أحد السراديب مملوءاً بالمواد المسروقة ، وفي سرداب ثانٍ وجدنا سجناء موقوفين ، يقومون بخدمة اللصوص ، فأحدهم يطبخ ويقدم الطعام وينظف السراديب وهناك اخرون يقومون بصنع الملابس والأحذية ، ويوجد في هذا المكان بين هؤلاء الشيْ الطالع من هو موجود منذ سنين وهم مربوطون أثنين أثنين ، والجميع لديهم أجراس صغيرة في أيديهم وأرجلهم ، لكي يمكن معرفة جهات حركتهم .

ويبقى دائماً بالقرب منهم اثنان من اللصوص لمراقبتهم ، ولا يسمح

بأن يترك أكثر من أثنين داخل نفس السرداب .

وفيما يتعلق بالذين يصنعون الملابس ، منهم يجمعونهم جميعاً لكن يبقى طرف سلاسلهم مربوطاً أثناء عملهم بحلقة مثبتة في الجدار .

وقد عرفت مؤخراً بأن هؤلاء المساكين كانوا زوار الآثار الذين اختفوا منذ سنين . فقد كان عددهم الكلي أربعة عشر ورووا بأن اللصوص قد قتلوا ثلاثة منهم أمام أعينهم ، اثنين بسبب كونهم مرضى والثالث كونه رفض متعمداً القيام بأي عمل .

أطلق الشرطة سراح هؤلاء السجناء ، وأعادوا الحمير الى القلعة حاملين معهم الجرحى الى المستشفى واللصوص الى السجن .

حُوكم اللصوص وأدينوا ، رئيس العصابة حُكم عليه بالموت أما الآخرون فأرسلوا الى مدينة «كاشينت» . أما بالنسبة لي فقد أثني عليَّ الجميع ، ففي كل مرة أخرج فيها ، أسمع كل من يلقاني يقول :-
«أنه كادشيون ، كادشيون الشهير الذي يساوي لوحده جميع الحمير في البلاد» .

الصيد

في اليوم التالي من المفترض أن يبدأ موسم الصيد ، وقد استعد «بيير» و «هنري» قبل الجميع فهذه بداية ممارستهم للصيد ، بنادقهم معلقة

بالحمالات وسلالهم معلقة بأكتافهم ، عيونهم تلمع من الفرح يتملكهم شعور بالفخر ، يدعو للقول بأن كل الطرائد في البلاد ستصاد ببنادقهم . لقد تابعتهم عن بعد ولاحظت تحضيراتهم الخاصة بالصيد .

قال «بيير» «لهنري» بكل ثقة :-

«- عندما تمتلئ سلتنا أين سنضع الطرائد الأخرى التي سنصيدها ؟

- هذا بالضبط ما أفكر به ، أجابه «سر» ساسألَ والدي لكي نأخذ معنا كادشيون»

لم ترق لي هذه الفكرة فأنا أعرف بأن الصيادين الصغار يطلقون رصاصهم في كل مكان وعلى كل شيء ، دون الأخذ بنظر الاعتبار ماذا أمامهم أو بالقرب منهم . فأن صوبوا على الحجل فأني قد أصاب برصاصهم ، ولذا فقد سمعت بقلق مقترحهم هذا خاطب «بيير» والده الذي قدم نحونا :-

«ياوالدي ، أيمكننا أخذ كادشيون معنا ؟

- وما حاجتنا به ؟ أجابه الأب ضاحكاً ، تريد أن تصيد وأنت تمتطي الحمار ، وتطارد فراخ الحجل متسابقاً معها ! ففي هذه الحالة يتوجب ربط أجنحة لكادشيون .

هنري (مغتاظاً)

كلا ياوالدي : سنأخذه لكي يحمل صيدنا ، عندما تمتلئ سلالنا تماماً .

الأب (مندهش وضاحك):

يحمل صيدكم ! أتعتقدون أيها المساكين الأبرياء ، أنكم

ستتمكنون من صيد شيءٍ ما ، ومن أشياء كثيرة ؟

هنري (منزعجاً)

بالتاكيد يا والدي ، لدي عشرون إطلاقة وسأصيد على الأقل خمس عشرة طريدة .

الأب

آه ! آه ! آه ! هذا جيد هذا ! أتعرف ماذا ستصيدون أنتم الاثنان وصديقكم «أوجست» ؟

- هنري: ماذا ياوالدي ؟

الأب: الوقت ولاشيءَ معه .

هنري (منزعجاً جداً)

ما هذا ياوالدي أنا لا أعرف لماذا أعطيتنا البنادق ، ولماذا تدعنا نذهب معك الى الصيد ، إن كنت تظن أننا مغفلين بما فيه الكفاية وكذلك عديمي المهارة لكي لا نصيد شيئاً .

الأب أني آخذكم لكي تتعلموا كيف تصيدون ، ياصغاري البلهاء ، هذا هو سبب خروجكم معنا للصيد ، فلا أحد قادر على صيد شيءٌ في المرة الأولى ، وسبب عدم تمكننا من الصيد نتعلم كيف نصيد. انتهى الحوار عند قدوم «أوجست» الذي كان هو ايضاً مستعداً لاصابة كل ما سيعترضه ، وكان «بيير» و «هنري» محمري الوجه من الخجل عند التحاق «اوجست» بهم .

«بيير»:

إنَّ والدي يعتقد بأننا لن نصيد شيئاً يا «أوجست» لكن سنريه بأننا

متمكنين أكثر مما يعتقد .

أوجست: لنكن هادئين ، سنصيد طرائد أكثر منهم .

هنري: لماذا أكثر منهم ؟

أوجست: كوننا شباباً حيويين رشيقين ومتمكنين في حين أن آباءنا هم الآن عواجز بعض الشيئ .

هنري ما تقوله صحيح ، فوالدي يبلغ من العمر اثنين وأربعين عاماً وبيير عمره خمسة عشر عاماً وأنا ثلاثة عشر ، يا للفرق !

أوجست أما والدي أنا ! يبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عاماً ! وأنا ليس لديّ إلا اربعة عشر عاماً !

بيير:

اسمعوا ، سأذهب من دون أن أقول له ، لكي أضع على ظهر كادشيون البردعة والسلال ، وسيتبعنا ليحملَ ما سنصيده .

أوجست:

حسنا ، حسناً جداً ، ضع السلال الكبيرة ، فأن صرنا أيلاً فيجب تهيئة مكان كبير له .

قام «هنري» بانجاز هذه المهمة ، لقد ضحكت بيني وبين نفسي من توقعاتهم ، فقد كنت متأكداً من عدم حملي للأيل وعودتي بسلال فارغة كما غادرت .

قال الآباء :

«هيا لنتحرك ! سنسير نحن في المقدمة وأنتم أيها الأولاد اتبعونا عن كثب ، وعندما نصبح في منطقة السهل تفرقوا .

– ما هذا ؟ أضاف والد «بيير» مندهشاً «كادشيون» مزين بسلتين كبيرتين جداً ؟

– أنها لصيد هؤلاء السادة أجاب الحارس ضـ حكاً .

الأب آه ! آه ! لقد عاندوا وتصرفوا حسب أهوائهم ليكن ذلك . فأنا أرغب في أن يتابع «كادشيون» الصيد إن كان لديه ما يضيعه من الوقت . ونظر مبتسماً الى «بيير» و «هنري» اللذين تنفسا الصعداء .

تساءل «هنري» :–

«هل بندقيتك معبأة يا بيير؟»

بيير:

كلا ليس بعد، أن من الصعوبة بمكان تعبأة وتفريغ البندقية أنني أفضل إنتظار خروج الحجل أولاً .

الأب :

ها نحن الآن في السهل ، هيا لنسرع جميعنا على نفس الخط ولنرم أمامنا لا يميناً ولا يساراً لكي لا يضرب أحدنا الآخر الحجل لن يتأخر عن الخروج من كل الجوانب .

بقيت حذراً في الخلف وحتى مبتعداً عنهم بعض الشيء وحسناً فعلت فاطلاقات البنادق كانت تخرج على طول الخط وأنا لم أبعد نظري عن الشباب الثلاثة المتبجحين ، وكنت أراهم يطلقون الرصاص مراراً . لكن هل حصلوا على صيد ما ؟ مطلقاً فلا أحد من الثلاثة أصاب أرنباً أو حجلاً .

فقدوا صبرهم فراحوا يطلقون رصاصهم دون تصويب . أما أقرب

أو أبعد ، وبعض الأحيان كل الثلاثة يصوبون على نفس الحجل . الذي يطير بعدها بشكل اعتيادي !

أما الآباء فقد كانوا على العكس من الأبناء . فكل إطلاقة بندقية تعني صيداً جيداً يضاف الى ما موجود في سلالهم .

وبعد ساعتين من الصيد اقترب والد «بيير» و «هنري» منهما «كيف الأمور ! ايها الاولاد ، هل أصبح حمل كادشيون ثقيلاً ؟»

هل بقي مكان لكي أفرغ شيئاً من سلالي التي امتلأت كثيراً ؟ لم يجب الاولاد ، فقد شاهدوا ملامح السخرية البادية على آبائهم العارفين بعدم مهارتهم . أما أنا فقد اقتربت راكضاً وأدرت احدى السلال بأتجاه الآباء .

الأب :

ماذا ! لا شيء في السلال ؟ سلالكم ستتمزق أن عبأتموها كثيراً !

السلال كانت منطوية وفارغة وراح الوالدان يضحكان من عجز الصيادين الصبية . واضعاً بعضاً من صيده في السلال التي أحملها وعاد الى كلبه الذي كان متهيئاً للمطاردة .

أوجست :

أظن بأن والدك قد صاد كمية من فراخ الحجل . فلديه كلبان من كلاب الصيد التي تطارد وتجلب الطريدة ، أما نحن فلم يتركوا لنا أياً من الكلاب .

هنري :

أنت محق فيما تقوله ، وربما نكون قد صدنا الكثير من الحجل ، فقط

كوننا لا نملك كلباً لكي يجلب لنا ما صدناه .

بيير:

مع هذا فأنا لم أر شيئاً مما أصبناه قد سقط .

أوجست :

لأن الحجل لا يسقط مطلقاً عنه ضربة . فهو يطير بعض الوقت ؛ يسقط لاحقاً على مسافة بعيدة .

بيير:

لكن عندما يصيب والدي وأعمامي الطريدة فأنها تسقط في الحال

أوجست :

هذا ما يبدو لك كونك بعيداً عنهم ، لكن لو كنت في أماكنهم فسترى إن الحجل يطير مسافة اضافية بعد الاصابة لم يجب «بيير» لكن بدا غير مقتنع بما قاله «أوجست» سار الجميع بخطوات أقل فخراً وأهون عن ذي قبل وبدأوا يستفسرون عن الوقت .

فقال «هنري» :— أني جائع »

وقال «أوجست» :— «أني عطشان» .

وتبعهم «بيير» قائلاً :— «أني مُتعب»

لكن يتوجب عليهم تعقيب الصيادين ، الذين كانوا يطلقون رصاصهم ويقتلون الطرائد ويتسلون . لكنهم لم ينسوا رفاقهم الصغار ولكي لا يتعبونهم كثيراً فقد اقترحوا التوقف لتناول طعام الغذاء، تلقى الأولاد هذا الأقتراح بالفرح .

صاحوا على الكلاب وربطوها وتوجهوا نحو الحقول الواقعة على بعد



مائة خطوه ، حيث أرسلت لهم الجدة هناك طعاماً وشراباً . جلسوا أرضاً تحت شجرة بلوط قديمة ونشروا ما في السلال فكان ما يوجد فيها عادة في كل رحلات الصيد ، الدجاج واللحم ، والبيض المسلوق ، والجبن . والمربى وحلوى الروم والزبيب وفطيرة حلوى كبيرة جداً . مع بضعة قناني من الشراب المعتق .

كانت لجميع الصيادين صغاراً وكباراً شهية مفتوحة جداً . فأكلوا بشراهة حتى أنهم أفزعوا المارين بقربهم !

مع كل هذا فأن الجده كانت تتوقع جيداً ، طبيعة جوع الصيادين ، لذا فقد أبقت على ما يعادل نصف الأكل لدى أصحاب المزرعة كما قدم الحساء للكلاب لكي يشبع جوعهم ومياه الترعة لتطفئ ضمئهم .

قال والد «أوجست» :-

«إذن لم تكن سعيداً ياولدي ؟ فكادشيون لم يكن يسير كحمار مثقل بالاحمال !»

أوجست

هذا ليس مدهشاً يا والدي ، فنحن ليس لدينا كلب فالكلاب كلها عندكم .

الأب :

آه ! تظن بأن كلباً أو اثنين أو ثلاثة ستقوم بقتل فراخ الحجل الطائر بالقرب منكم .

أوجست :

بالتأكيد . يا والدي فقط كوننا لم نرها تسقط لذا لم نكن قادرين

على أخذها .

الأب (مندهشاً):

وأنت تعتقد بأنها لو وقعت ، فسوف لا ترونها ؟

أوجست:

كلا ، حيث إن عيوننا لا ترى بعيداً كما ترى عيون الكلاب .

راح الأب والأعمام والحراس يضحكون بقوة مما جعل وجوه الأولاد تكتسب لونا أحمر نتيجة العصبية .

قال والدا «بيير» و «هنري» :—

«اسمعوا لكون الخطأ بسبب الكلاب ، حيث فقدتم صيدكم فستحصلون على أحد الكلاب . عندما نعود مجدداً للصيد بعد حين .

«بيير» :

لكن الكلاب لا تريد أن تتبعنا يا والدي ، فهي ، لا تعرفنا بقدر ما تعرفكم .

الأب :

حتى نرغمها على اتباعكم ، سنعطيكم الحارسين كذلك ولن نبدأ صيدنا إلا بعدكم بنصف ساعة ، حتى لا تنتبه الكلاب وتعود للحاق بنا .

بيير (مبتسما):

آه ! شكراً ياوالدي ! يا للسعادة ! فمع الكلاب نحن متاكدون من كوننا سنصيد بقدر ماصدتم .

انتهى الغداء . ارتاح الجميع ، واستعجل الصيادون الصغار الخروج للصيد مع الكلاب والحراس قائلين وهم يشعرون بالراحة : «الآن يبدو علينا كوننا صيادين حقيقيين» .

خرجوا للصيد مجددا وانا أتبعهم كما كان الامر قبل الغداء لكن دائما عن بعد ، الآباء قالوا للحراس بأن يسيروا قرب الاولاد ويمنعوا اي عمل طائش .... كان الاولاد يطلقون النار ولكن بلا نتيجة خرجت الطيور من كل جانب ، بالضبط كما في الصباح علما بأن الكلاب قامت بدورها كما يجب ، تتركهم وتشير لمكان الطريدة ، ولكنها لاتعود بشيْ منها ، لانه لم يكن هناك من صيد تجلبه في النهاية .

فقد «أوجست» صبره وهو يرى بأنه يطلق رصاصة من دون إصابة شيْ . شاهد كلاباً تشير للطرائد ، فظن بأنه عند إطلاقه أمامها فأن الحجل سيخرج ، ويصيد بسهولة اكبر .

هدّف ، أطلق النار .... ! فسقط أحد الكلاب متخبطاً بدمه مطلقاً صرخة ألم كبيرة .

صاح أحد الحراس وهو يتجه نحو الكلب :

«تباً لك ! أنه أفضل كلب لدينا !»

وعندما وصل كان الكلب قد مات . فلقد أصابته الاطلاقة في رأسه ، فكان بلا حراك وبلا حياة .

«إنها إصابة جيدة ، هذه التي قمت بها ياسيد أوجست ! قال الحارس وهو يعيد وضع الكلب المسكين على الأرض . أظن بأن الصيد قد انتهى الآن»

بقي «أوجست» ثابتاً في محله واجماً ، أما «بيير» و «هنري» فكانا متأثرين جداً بموت الكلب . والحارس كظم غيظه وراح ينظر له من دون التحدث بأية كلمة .

إقتربت لأرى من هي الضحية سيئة الحظ ، ضحية رعونة وحب الذات السيد «أوجست» . لا يمكنهم تصور مدى ألمي بتعرفي على «ميلور» صديقي ، أعز أصدقائي ! ويالامتعاضي وحزني عندما رأيت الحراس يرفعون «ميدور» ويضعونه في إحدى السلال التي أحملها على ظهري !

«ميلور» صديقي ، قُتل من قبل صبي شرير ، معتدٍّ بنفسه ، غير كفوء .

عدنا بأتجاه المزرعة ، لم يتحدث الأولاد بشيءٌ ، الحارس كان يطلق بين فترة وأخرى قسماً صاخباً ، وأنا لم أجد عزائي إلا في التأنيب القاسي والأهانة التي تعرض لها القاتل .

عند وصولنا الى المزرعة ، وجدنا بأن الصيادين مازالوا في المكان لم يغادروه ولانهم بلا كلاب فقد فضلوا الراحة وإنتظار عودة الأولاد .

«بهذه السرعة !» صاحوا وهم يروننا نعود .

والد «بيير» :

في الحقيقة ، أعتقد أنهم قد صادوا طريدة كبيرة «فكادشيون» يسير وكأنه مثقل ، وإحدى السلال تميل وكأنها تحتوي على شيءٌ ثقيل .

نهضوا وتوجهوا نحونا ، لكن الأولاد بقوا في الخلف وهيأتهم المضطربة أثرت في الرجال .

والد «أوجست» (ضاحكاً):
ربما يكونون قد قتلوا عجلاً أو خروفاً ، ظنا بأنه أرنب
اقترب الحارس .
الأب:
ماذا هناك إذن ، يا «ميشو» ؟
يبدو عليك الارتباك كالصيادين .
أي شيء تحملون يا سيدي .
فأجاب الحارس . «إننا نحمل طريدة حزينة»
الوالد (ضاحكاً):
ما هي إذن ؟ خروف ، عجل ، حمار صغير ؟
الحارس:
آه ! يا سيدي ، لا شيء يدعو للضحك ، هيا !
أنه كلبك «ميدور» ، أفضل الكلاب لدينا ، الذي قتله السيد «أوجست». ظاناً بأنه حجل .
الوالد:
ميدور ! آه تمنيت لو لم يأتوا للصيد هنا مطلقاً .
– إقترب يا «أوجست» قال له والده الى هنا أذن أوصلتنا عجرفتك الغبية وحدسك التافه ، ودع اصدقائك يا سيد وأحمل بندقيتك الى غرفتي ولا تمسها بعد الآن حتى تتمكن في تعلم حسن التصرف والتواضع .
– لكن ياوالدي ، أجاب «اوجست» وقد ارتاح بعض الشيء أني لا

أعرف لماذا أنت حانق هكذا ، فأنه غالباً ما يحدث أن تقتل الكلاب في الصيد .

صرخ الوالد مندهشاً :

- الكلاب ! تقتل الكلاب ! في الحقيقة ما تقوله شديد الوقع جداً ولأين تعلمت مبادئ الصيد هذه يا سيدي ؟

- قال «اوجست» وهو دائما طلق المحيا

يا والدي ، الكل يعرف بأنه قد يحصل للصيادين الكبار أن يقتلوا كلاباً .

قال الوالد وهو يتوجه بالحديث الى الرجال الذين حوله .

- يا أصدقائي الأعزاء ، تقبلوا اعتذاري عن جلبي هذا الصبي الفظ . ولم أكن معتقداً بأنه سيكون قادراً على كل هذه اللامبالاة والغباوة . بعدها التفت نحو ولده قائلاً :-

«هل سمعت أوامري هيا يا سيدي .

أوجست :

لكن يا والدي...

الأب (بصوت قاس)

أصمت ! أقول لك ولا كلمة ، إن كنت لا تريد التصرف على العصا المربوطة ببندقيتي .

خفض «أوجست» رأسه وانسحب مضطرباً .

قال والد «هنري» و «بيير» :—

«أنتم ترون يا أولادي الى أين قاد هذا الاعتداد بالنفس ، يعني الاعتقاد بأن لدينا شيئاً أو قدرة لا نملكها أن ما حصل «لأوجست» من الممكن أن يحصل لكم ايضاً ، فأنتم جميعكم كنتم تتصورون بأن لاشيْ أسهل من الرمي بدقة . وهذا كاف للتمكن من الصيد ، فأنظرو النتيجة .

لقد كنتم جميعكم مضحكين منذ صباح اليوم ، لقد أستهزأتم بنصائحنا وبتجربتنا . وأخيراً كنتم جميعاً سببا في موت الكلب المسكين «ميدور» .

إني أرى بعد هذا ، أنكم مازلتم صغاراً للخروج الى الصيد . فخلال عام أو عامين سنرى ، وحتى ذلك التاريخ عودوا الى حداثتكم والى تساليكم كأطفال . وجميعنا سنجد هذا الحال أفضل اجابة خفض «بيير» و «هنري» رؤوسهم دون أية أجابة ، وعاد الجميع حزينين الى البيت ، وأراد الأولاد دفن صديق المسكين «فيدور» بأنفسهم داخل الحديقة .

وسأقص عليكم ثاريخ هذا الكلب ، وسترون أسباب حبي الكثير له .

ميدور

عرفت الكلب «ميدور» منذ زمن طويل . كنت صغيراً وكان هو أصغر مني عندما التقينا وتعارفنا واحب بعضنا الآخر .

كنت أعيش في حينها بائساً لدى أصحابي المزارعين الشريرين الذين أشتروني من تاجر الحمير ، والذين هربت منهم بفضل ذكائي كنت ضعيفاً ، حيث كنت أشكو دائما من الجوع . و «ميدور» الذي كان في البداية كلباً للحراسة ، والذي صار بعدها كلباً رائعاً من كلاب الصيد ، كان أقل تعاسة مني ، فهو يُسلي الأطفال الذين كانوا يعطونه الخبز وبقايا اللبن ، إضافة لذلك فقد أعترف لي بأنه عندما يتمكن من الوصول لمتجر الحليب مع صاحبته أو الخادمة فقد كان يجد الوسيلة لشرب الحليب أو القشطة بأكل القطع الصغيرة من الزبدة التي تسقط من المخضة عند صنعه .

كان «ميدور» طيباً . وضعفي وهزالي كانا يستدران عطفه وفي أحد الأيام جاءني بقطعة من الخبز وقدمها لي وهو يشعر بالانتصار فقال لي بلهفة :-

«كُل يا صديقي المسكين ، فلدي ما يكفيني من الخبز الذي يعطونني اياه كغذاء ، أما أنت ، فليس لديك إلا الشوك والعشب الرديء ، بكمية لا تكاد تكفيك لاستمرارك حياً

– فأجبته ، يا «ميدور» الطيب ، أنت تحرم نفسك من أجلي ، أنا متأكد من هذا وأني لأأعاني بقدر ما تظن ، فلقد تعودت أن آكل قليلاً ، أن أنام قليلاً وأعمل كثيراً وأضرب .

أجابني «ميدور» .

– لـ ـت جائعاً يا صديقي واني أطمئنك بكوني لست جائعاً ، أثبت لي صداقتك بقبولك لهديتي الصغيرة هذه ، أنها حقاً شيْ صغير لكني أقدمها لك بكل سرور ، وإن رفضتها أنت فسأكون حزيناً .

فأجبته بدوزي .

– طيب أني قبلتها ، يا صديقي الطيب «ميدور» لأني أحبك وأحب أن أصارحك بأن هذا الخبز سيفعل فعله بالنسبة لي ، حيث أني جائع .

أكلت الخبز الذي قدمه الطيب «ميدور» وكان ينظر بفرح للعجالة التي كنت أمضغ وآكل بها .

وشعرت بأن كل شيْ قد تحسن بهذه الوجبة غير الاعتيادية وقد قلت هذا «لميدرو» . ظناً بأني أدعه يشهد عمق شكري له . ولكن ما نتج عن هذا ، أنه راح يقدم لي يومياً القطعة الأكبر من كل ما يقدم له ليأكله .

وفي المساء ، يأتي للنوم بالقرب مني تحت الشجرة أو الدغل الذي أختاره لتمضية الليل ، وعندها نروح نتحدث مع بعضنا دون أن يسمعنا أحد ، كوننا نتحدث دون كلام .

نحن الحيوانات لا نلفظ كلمات كما هو حال الانسان ، لكننا نتفاهم أحدنا مع الاخر بواسطة إشارات العيون ، حركات الرأس ، الآذان ، الذيل ونحن نتحدث فيما بيننا كما هو الحال بالنسبة للبشر.

في إحدى الأماسي شاهدت «ميدور» قادماً وهو حزين متعب فقال لي :—

«يا صديقي ، أني خائف من عدم مقدرتي مستقبلاً على إعطائك جزء من خبزي ، فأصحابي قرروا أن يربطوني طوال النهار كوني كبيراً بما فيه الكفاية ، ولن يطلقوني إلا عند حلول الليل . إضافة لذلك فصاحبتي أنبت الأطفال لكي لا يعطوني الكثير من الخبز ، فقد منعتهم من اعطائي شيئاً في المستقبل ، كونها تريد أطعامي بنفسها وبالشيء القليل ، تريدني أن أكون كلباً جيداً للحراسه .

فأجبته :—

– يا «ميدور» الطيب إن كان ما تجلبه لي من خبز هو الذي يقلقك ، فأطمئن أني لم أعد بحاجة له ، فلقد اكتشفت هذا الصباح فجوة في جدار مخزن العلف ولقد أخذت فعلاً شيئاً ما ، وبأمكاني بسهولة أن آكل منه كل يوم .

– في الحقيقة ! صاح «ميدور» أني مسرور لما تقوله لكن مع هذا كنت مسروراً جداً لمقاسمتك خبزي ، ومن ثم أن أكون مربوطاً كل النهار ، هذا يعني عدم مقدرتي على رؤيتك ، أني حزين .

تحدثنا بعض الوقت وتركني في وقت متأخر .

مر نهار اليوم التالي من دون أن ألاحظ صديقي المسكين «ميدور» وعند حلول المساء ، إنتظرته يصيد وعند سماعي نباحه ركضت قرب الحائط ، فرأيت الفلاحة الشريرة تمسك «بميدور» من رقبته في الوقت الذى يقوم فيه «حُل» بضربه بسوط سائق العربة .

أنطلقت عبر الحاجز من فتحة غير مغلقة جيداً ، ورميت بنفسي على «جُل» وعضضت ذراعيه بالشكل الذي جعل السوط يسقط من يده .

أطلقت الفلاحة «ميدور» الذي فر هارباً ، وهذا ما كنت أرمي اليه ، تركت أنا أيضاً ذراع «جُل» ورحت عائداً الى مكاني حتى شعرت بأن أحداً يمسكني من آذاني ، أنها الفلاحة وهي في قمة إنفعالها تنادي على «جُل» :-

«أعطني السوط الكبير ، أني أريد تأديب هذا الحمار السيء مطلقاً لم يُر مثل هكذا حمار شرير في العالم ، أعطني السوط إذن أو أضربه أنت بنفسك .

- لا أقدر على تحريك ذراعي ، فهي مخدره ، قال «جُل» باكياً أخذت الفلاحة السوط الذي وقع أرضاً ، وركضت نحوي لكي تنتقم لولدها الشرير .

لم أرتكب الحماقة بأنتظارها ، كما بأمكانكم انْ تفكروا . فقد قفزت مبتعداً عندما كادت أن تقترب مني لكنها تابعت مطاردتي وأنا تابعت هروبي ، منتبهاً بشكل جيد لكي لا أكون بمتناول سوطها .

لقد تسليت كثيراً بهذا السباق ، فقد كنت أراقب عصبية صاحبتي تزداد ، لحد أنها تعبت حيث جعلتها تركض من دون أدنى آذى لي فالمرأة الشريرة كانت منهارة القوى ، تنضح عرقاً ، ولم تشبع رغبتها بالإمساك بي أو مسي بطرف سوطها .

إنتقمت لصديقي بما فيه الكفاية . وعندما أنتهت هذه الجولة فقد بحثت عنه بعيوني ، لانه رأيته يركض بأتجاه السياج لكنه انتظر ذهاب

صاحبته المجنونة لكي يُظهر نفسه . وصرخت الفلاحة المسعورة عند ذهابها .

«آه ! شقي ! ستدفع الثمن عندما تصبح تحت بردعتك مجدداً» .

بقيت وحيداً ، فناديت وعندها أخرج «ميدور» رأسه خجلاً ، من الحفرة التي اختفى فيها .

ركضت نحوه قائلاً :-

«تعال ، لقد ذهبت ، ماذا فعلت ؟ لكي يضربك «جُل» بالسوط ؟

- لكوني أخذت قطعة من الخبز ، كان أحد الأطفال قد رماها أرضاً ، لقد رأتني ، فهجمت عليّ ونادت على «جُل» وأمرته بضربي بلا أية رحمة .

- ولم يحاول أحد الدفاع عنك ؟

- الدفاع عني ! آه نعم ! حقاً ! لقد صرخ الجميع «حسنا فعلت ! حسناً فعلت !» أضربه بالسوط «ياجُل» لكي لا يعيد ما فعل مجدداً .

- فأجابها «جُل» . كوني مطمئنة ، فلن تكون يدي ميتة وسترين كيف أجعله يغني !»

وبمجرد أن أطلق الصرخة الأولى راح ، الجميع يصفقون ويصرخون «برافو ! المزيد ! المزيد !»

قلت له :-

أيها الصغير الشرير المضحك ! لماذا أخذت قطعة الخبز هذه. ألم يعطوك ما تأكله يا «ميدور» ؟

- بلى ، بلى ، لقد أكلت . لكن خبز الحساء كان مسحوناً ، بحيث لا

توجد فيه أية قطعة من الخبز لكي أجلبها لك، ولو كنت قد تمكنت من أخذ هذه القطعة الكبيرة التي سقطت من الأطفال ، لحصلت لك على طعام لذيذا ! .

- يا مسكين يا «ميدور» ، من أجلي تعرضت للضرب ! شكراً ، يا صديقي لن أنسى لك مطلقاً صداقتك وطيبتك هذه !

لكن لا تكرر هذا العمل ، أتوسل إليك ، تظن بأن هذا الحال يُسرني ، آه لو كنت أعرف كم جعلتك تتألم ؟ لتمنيت مئة مرة العيش على الأشواك مع معاملتك بلطف وطيبة .

في أحد الأيام وكان يوم حزن وعزاء حين مر رجل فشاهد «ميدور» فصاح عليه ، داعبه ثم راح وتحدث مع الفلاحة وأشتراه بمائة فرنك وهي التي كانت تظن بأن كلبها غير ذي قيمة لقد فرحت جداً.

رُبط صديقي المسكين بحبل وأقتيد من قبل صاحبه الجديد . نظر إليَّ نظرة ألم ، فركضت بكل الاتجاهات باحثاً عن ممر في الجدار ، لكن كل الفتحات كانت قد أغلقت ولم استطع توديع صديقي العزيز «ميدور»

منذ ذلك اليوم أصبحت ضجراً بشكل مميت، وبعد ذلك بوقت قصير حصلت حادثة السوق وهو في داخل غابة «سانت - أيفرول»

وخلال السنوات التالية لهذه المغامرة ، كنت غالباً ، ومراراً ، أفكر بصديقي وتملؤني الرغبة في العثور عليه ؛ لكن أين أبحث عنه ؟

لقد عرفت بأن صاحبه الجديد لا يسكن هذه البلاد وقد جاء لرؤية أحد أصدقائه فقط .

وعندما أخذت الى الجدة بواسطة الصغير «جال» ، كنت في قمة

سعادني حين شاهدت بعد فترة وجيزة من وصولي ، مع عمتك وأبناء عمومتك «بيير» و «هنري» صديقي وعزيزي «ميدور» واندهش الجميع ، عندما شاهدوا «ميدور» يركض نحوي ، داعبني ألف مرة وأنا أتبعه في كل مكان ، فظنوا بأن الفرح قد غمر «ميدور» لوجوده في الريف ، وبالنسبة لي فقد ظنوا بأني مسرور جداً لحصولي على رفيق للتجوال .

ولو فهمونا بعض الشيءُ ، وحزروا حواراتنا الطويلة ، لعرفوا ما يشدّنا الواحد نحو الآخر .

فرح «ميدور» بكل ما قصصت عليه بصدد حياتي الهادئة ، السعيدة لطيبة أصحابي ، لسمعتي الطيبة أو بالأحرى الشائعة في كل البلاد .

تألم معي عن الحديث عن مواقفي الحزينة ، امتلأ بالفخر عند حديثي عن انتصاري في سباق الحمير وتألم لنكران الجميل الذي قابلتني به عائلة المسكينة «بولين» وأطلق بعض الدموع على المصير المُحزن لهذه الطفلة سيئة الطالع .

الحمار المدرب

في أحد الأيام شاهدت الأطفال يركضون في المروج ، حيث كنت أتناول طعامي بهدوء بالقرب من القصر.

«لوسي» و «جاك» راحا يلعبان بجواري ويتسليان بركوبهم بخفة على ظهري . وكان «لويس» قد أظهر شطارة اما جاك فأمتطى ظهري بلا كبير

عناء ، عندها سمعنا ركض مجموعة الأطفال . فصاحوا على «جاك» و «لويس» قائلين :-

«سنذهب للتسلي الى المهرجان بعد غد ، لكي نشاهد الحمار المُدرب»

جاء يوم المهرجان ، وقبل ساعة واحدة من مغادرتنا . اعتنوا بتربيتي بشكل متميز ، مشطوا شعري لحد فقداني الصبر ووضعوا على ظهري سرجاً وبردعاً جديدين .

الآباء كانوا جاهزين وقد وضعوا الأولاد على ظهري ، وتحركت بمهل لكي لا أدع الآباء المساكين يركضون ورائي .

بعد مسيرة ساعة ، وصلنا مكان المهرجان وكان هناك الكثير من الناس قرب دائرة محاطة بحبل ، حيث سيقدم داخلها الحمار المُدربُ ما لديه من عروض ذكية .

أوقفنا آباء أصدقائي الصغار أنا وهم قريبين جداً من الحبل ، ولحق بنا الكبار الاخرون حيث وقفوا بالقرب منا ايضاً، أعلنت دقات الطبول ، عن الظهور القريب لزميلي الذكي ، فتركزت كل العيون على الحاجز ، الذي فُتح ليظهر الحمار المُدرب .

كان نحيلاً هزيلاً ، يبدو عليه الحزن ، صاح عليه صاحبه ، فاقترب دون عجلة وحتى بشيء من الخوف . واستناداً على هذا فقد يكون هذا الحمار قد ضُرب كثيراً لكي يتعلم ما يعرفه الآن .

قال المُدرب :-

«سيداتي ، سادتي ، لي الشرف بأن أقدم لكم «ميبوليفلور» أمير الحمير.

هذا الحمار سيداتي ، سادتي ليس حماراً جيداً كزملائه ، فهو حمار

فاهم انه أكثر فهماً حتى من العديد منا . أنه أفضل الحمير لا يوجد نظيره .

هيا يا «مير ليفلور» دع الحضور يرون ما يمكنك أن تقوم به ، وقبل ذلك هيا حيّي هؤلاء السادة والسيدات كحمار مؤدب بشكل جيد .

كنت متكبراً لان هذا الحديث جعلني منفعلاً ، فقررت الانتقام قبل نهاية العرض .

تقدم «مير ليفلور» ثلاث خطوات وحيا برأسه بشكل مكتئب «هيا يا مير ليفلور ، إذهب وخذ شدة الورد هذه وقدمها الى أجمل أمرأة موجودة بيننا» .

ضحكت عند مشاهدتي لكل الأيادي الممتدة ، المستعدة لاستلام شدة الورد .

أتم «مير ليفلور» دورته حول ساحة العرض وتوقف أمام أمرأة بدينة ودميمة ، والتي عرفت بأنها زوجة المُدرب وكانت تحمل بيدها قطعة من السُكر ، فاعطاها الحمار شدة الورد، لقد أزعجني فقدان الذوق هذا ، فقفزت الى داخل الحلبة . متجاوزاً الحبل الذي يحيطها ، مثيراً الأستغراب الشديد لكل الحضور، حييت الجميع بلطف أمامي وورائي ، يميناً ويساراً ومشيت بخطوات ثابتة جميلة نحو المرأة البدينة . وأخذت منها شدة الورد ورحت أضعها على ركبة «كامي» وعدت الى مكاني يلاحقني تصفيق الحاضرين .

الكل راح يتساءل ماذا يعني هذا الظهور ، البعض ظن بأن هذه العملية مرتبة مسبقاً ، وأن هناك حمارين مُدربين وليس واحداً فقط .

الاخرون الذين شاهدوني بصحبة الصغار أو الذين يعرفونني سابقاً. كانوا مسرورين بذكائي. بدا صاحب «مير ليفلور» مضطرباً بشكل كبير.

أما (مير ليفلور» فلم يبال بنصري، لذا بدأت أُفكر بأنه حقاً غبي. وهذا نادر بين أقراننا الحمير.

عندما عاد الهدوء مجدداً، صاح المدرب على «مير ليفلور» مرة أخرى.

«تعال يا ميرليفلور، دع هؤلاء السيدات والسادة، يرون بأنك بعد أن قدرت على تمييز الجمال، فأن تدرك أيضاً تمييز الغباء. خذ هذه الطاقية وضعها على رأس الأكثر غباءً بين كل الحضور.

قدم له طاقية حمار جميلة موشّحة بشرائط ملونة وأجراس صغار.

فأخذها «مير ليفلور» بين أسنانه وتوجه نحو صبي بدين، كان قد خفض رأسه مقدماً لكي يستلم الطاقية.

لقد كان سهلاً معرفة تشابه الصبي مع السيدة البدينة التي أُعلنت بتزوير واضح انها أجمل الحاضرات، لقد كان هذا الصبي ابن المدرب أيضاً.

فكرت بأن اللحظة قد حانت لكي أنتقم من هذا المغفل لحديثه المهين الذي وجهه، وقبل أن يحاول احد الإمساك بي، فقد أصبحت مرة أخرى وسط الحلبة. ركضت نحو ابن جدتي فسحبت منه طاقية الحمار في الوقت الذي أراد فيه وضعها على رأس الصبي البدين.

وقبل أن يسنح الوقت للمدرب ليعرف مايحدث، ركضت بأتجاهه ووضعت حوافري الأمامية على كتفيه وأردت تثبيت الطاقية على رأسه،

دفعني بضيق وأصبح منفعلاً جداً في حين راح الضحك يتداخل مع التصفيق ويسمع في كل جوانب القاعة . والكل يصيح :—

«برافو ياحمار ، انك أنت الحمار الذكي الحقيقي !»

متشجعاً بتصفيق الجمهور ، قمت بجهد مضاف لكي أضع على رأسه طاقية الحمار ، وفي الوقت للذي كان يتراجع فيه ، كنت أتقدم نحوه .

ركض الرجل مطلقاً لأرجله العنان ، وأنا أركض وراءه غير قادر على وضع الطاقية فوق رأسه وغير راغب مع هذا في ايذائه .

أخيراً بدرت لي فكرة القفز على ظهره بتمرير حوافري الأمامية على كتفيه ، ضاغطاً بكل وزني عليه ، فسقط ، مما دعاني للانتهاز فرصة سقوطه لكي أُدخل الطاقية برأسه ، أدخلتها بقوة حتى وصلت الى حنكه .

إنسحبت في الحال ، فنهض الرجل غير قادر على الرؤية بوضوح ، شاعراً بالدوار جراء سقوطه ، راح يدور ويقفز .

أما أنا ولكي أُكمل الفصل المضحك فرحت أقلده بشكل هزلي فأدور وأقفز مثله ، وكنت أوقف هذا الفاصل أحياناً بالقيام بالنهيق بآذنه ، بعدها أقف على أرجلي الخلفية وأقفز مثله ، مرة الى جانب ومرة الى أمام .

من غير الممكن أبداً وصف الضحكات ، وكلمات الثناء وضرب الأرض بالأرجل لكل الحاضرين . فأبداً لم يحض أي حمار في العالم بمثل هذا النجاح .

صعد الى الحلبة آلاف الأشخاص ، راغبين لمسي ، مداعبتي ،

رؤيتي عن قرب .

ان الذين يعرفونني كانوا فخورين ، وكانوا يعرِّفون من لا يعرفني باسمي ويقصون الحوادث الصحيحة والمُرتبة التي لعبت فيها الأدوار الرائعة فيقولون مرة . بأني أطفأت حريقاً باستعمال مضخة المياه ، وقد صعدت الى الطابق الثالث ، فاتحاً باب صاحبتي، حيث وضعتها على ظهري وهي نائمة . وبما إن ألسنة اللهب كانت قد وصلت الى السلالم والنوافذ ، فقد رميت بنفسي من الطابق الثالث دون أن تُجرح هي أو أُجرح أنا ، لأن الملاك الحارس لصاحبتي كان قد حملنا في الهواء لكي ينزلنا على الأرض بكل هدوء .

مرة أخرى كنت قد قتلت وحدي فقط خمسين لصاً . الواحد بعد الآخر ، بعضة من أسناني . بشكل لم يعط لأي منهم الوقت الكافي لكي يستيقظ ويحذر الآخرين من جماعته .

بعدها نزلت الى السراديب وحررت مائة وخمسين شخصاً . كان اللصوص قد ربطوهم لكي يقتلوهم ويأكلوهم .

مرة أخرى، يقال بأني قد فزت في السباق على أفضل الخيل في البلاد ، وقد قطعت خمس ساعات مائة كيلومترٍ من دون توقف. في الوقت الذي كانت فيه هذه الأخبار تتناقل، كان الأعجاب يزداد بي .

تدافع الناس وتزاحم حولي ، وأضطرت الشرطة تفريق هذه المجاميع .

لحسن الحظ أن والدي «لويس» و «جاك» وكل أصحابي الآخرين

كانوا قد سحبوا الأولاد بمجرد أن تجمّع الناس حولي .

عانيت كثيراً للتخلص من الناس وتم ذلك بفضل نجدة الشرطة .

فقد أرادوا حملي كالمنتصرين .

لقد اضطررت للتخلص من هذا الشرف بان اعض هذا وذاك وحتى توجيه بعض الضربات بحوافري ، مع الانتباه الى عدم جرح أحد . حيث قمت بهذا لغرض الاخافة ولفتح الطريق لمروري .

بمجرد تخلصي من الناس ، رحت أبحث عن «لويس» و «جاك» ، لم أرهم في كل الجهات ، ولم أرغب في أن يعود أصدقائي الصغار الى البيت مشياً على الاقدام . ومن دون ضياع الوقت بالبحث عنهم ، ركضت الى الحظيرة، حيث توضع الخيل دائماً . لكني لم أجدهم هناك لانهم كانوا قد غادروا المكان ، لذا فقد ركضت بكل سرعتي بأتجاه الطريق الرئيس الذي يؤدي الى القصر ، ولم أتاخر عن اللحاق بالعربات التي كانت تحمل الأطفال واباءهم الواحد على الآخر ، حيث كانوا أكثر من خمسة عشر شخصاً داخل عربتين .

صاح كل الأطفال عند مشاهدتي :-

«كادشيون ! هاهو كادشيون ! »

أوقفوا العربتين ، وطلب «جاك» و «لويس» الهبوط لكي يقبلوني ، يهنئوني. ومن ثم جاء «جاك» «وهنريت» «بيير» «وهنري» ثم في النهاية «أليزابيث» ، «مادين» و«كامي» .

قال «لويس» و «جاك» :؟

«أنظروا ، فنحن الذين نعرف - أفضل منكم - عقلية

«كاديشيون» ، أترون كم هو ذكي ! وكيف فهم لعبة هذا المغفل «مير ليفلور» ومدربه الغبي !

– قال «بيير» : هذا صحيح لكني أريد أن أعرف لماذا أراد بكل الوسائل وضع طاقية الحمار على رأس المدرب ، هل عرف بأنه كان غبياً وإن طاقية الحمار هي الدليل على غبائه ؟

كامي

بالتأكيد ، لقد فهم هذا ، فهو لديه عقل مؤهل لذلك» .

وصلنا الى القصر ونحن نتجاذب أطراف الحديث ، وركض الأولاد جميعاً نحو جدتهم التي بقيت في البيت ، وقصوا عليها كل ماقمت به وكيف فاجأت كل الناس بذلك .

فقالت الجدة وهي تداعبني : –

«هل حقاً أن كادشيون هذا رائع ! لقد شاهدت العديد من الحمير الأذكياء ، الأكثر ذكاءً من كل الحيوانات الأخرى ولكني لم أشاهد مطلقاً مثل كادشيون ! وعلينا الأعتراف بأننا مقصرون تجاه الحمير» .

التفتُ نحوها ونظرتها نظرة شكر وعرفان .

استمرت الجدة قائلة : –

«في الحقيقة يظهر لي بأنه فهم قصديْ ، ولتكن مطمئناً ياكادشيون بأني لن أبيعك مادمت حية ، وسأراعيك وكأنك تفهم كل مايجري من أمور حولك» .

تنهدت وأنا أُفكر بعمر صاحبتي العجوز ، فعمرها تسعة وخمسون

عاماً وأنا لايتجاوز عمري تسع أو عشر سنوات .

«فيا أصحابي الصغار الأعزاء ، عندما تموت الجدة احتفظوا بي ، أرجوكم ولاتبيعوني وأتركوني أموت وأنا أقوم بخدمتكم»

أما بالنسبة لصاحب الحمار المدُرب سيّئ الحظ ، فلقد أنبت نفسي بمرارة لاحقاً للعمل الذي قمت به تجاهه وسترون السوء الذي ارتكبته وأنا أريد أظهار قدراتي الذهنية الذكية .

«أو حسبت» الصبي المتباهي الذي قتل صديقي «ميدور» كان قد حصل على العفو . وأنا لاأقدر على تحمل ذلك ، كما تظنون وأني أبحث عن الفرصة لكي أعمل له بعض المقالب ، كوني غير متسامح ، ولم أتعلم بعد أن أعفو .

حصان البوني

كظمت شعوري بالكره تجاه « أوجسبت» سيّئ الحظ ، والذي جعلني أرتكب تجاهه تصرفاً شريراً ارتحت جداً منذ القيام به .

جاء به والده في أحد الأيام ولكن هذا لم يُسر أحداً ، فقال «بيير» «لكامي» : —

«ماذا سنفعل لكي نسلي هذا الصبي»

كامي:

أقترح عليه الذهاب وركب الحمير في الغابة ، سيمتطي «هنري» كاديشيون ويأخذ «أوجست» حمار المزرعة ، وأنا أركب حصان البوني

بيير:

إنها لفكرة رائعة تلك التي تقترحينها ، بشرط أنه مازال يريد هذا !

كامي:

يتطلب جداً أن يحبذها ، أسرج الحصان والحمارين ، وعندما يكونان جاهزين ، سنجعله يركب حماره . ذهب «بيير» «وأوجست» الى الأسطبل ، حيث طلبوا من السائس أن يسرج الحصان وزميلي حمار المزرعة وأنا .

أوجست:

آه! لديكم حصان البوني ! أني أحب كثيراً البوني .

بيير:

إن جدتي هي التي اعطتني إياه .

أوجست:

إذن ، فانت تعرف ركوب الخيل ؟

بيير:

نعم! أني أركبها في مدينة الألعاب منذ سنتين .

أوجست:

أني أرغب كثيراً ركوب حصانك .

بيير :

اني لأنصحك بذلك، ان كنت لا تعرف ركوب الخيل.

ألم تجرب ذلك مطلقاً ؟

أوجست:

إني لمْ أتعلم ذلك، لكني أحسن الركوب

بيير:

ألم تجرب ذلك مطلقاً ؟

أوجست :

بعض المرات ، فمن ذاك الذي لايعرف ركوب الخيل ؟

بيير :

متى جربت ذلك ؟ فوالدك ليس لديه خيل للركوب .

أوجست:

أني لم أركب الخيل، ولكن ركبت حميراً ، وهذا نفس الشيْ

بيير (مخفياً ابتسامته):

إني أكرر عليك ياصديقي العزيز «أوجست» ان كنت لم تركب مطلقاً الخيل في السابق، فأني لاأنصحك بركوب حصان البوني .

أوجست (منفعلاً):

لأي سبب ؟ فأنت تقدر على أن تتركه لي مرة واحدة في الطريق .

بيير:

أوه ! إن السبب ليس هو رفض طلبك، ولكن كون البوني نشطاً بعض الشيْ و ....

أوجست (منفعلاً أيضاً):

وماذا يعني هذا ؟

بيير:

حسناً ، ان هذا يعني كونه قادراً على إيقاعك أرضاً .

أوجست (منزعجاً جداً)

كن هادئاً ، فأني أشطر مما تظن. فأن كنت تريد أن تدعني أركب الحصان فكن متأكداً من قدرتي على قيادته بالشكل الجيد كالذي تقوم به انت .

بيير:

كما تريد ياعزيزي ، خذ حصان البوني وسأخذ أنا حمار المزرعة وسيركب «هنري» كادشبون .

التحق بنا «هنري» وجميعنا كنا مستعدين للتحرك .

اقترب «أوجست» من حصان البوني ، الذي تحرك قليلاً وقفز قفزات قصيرة مرتين أو ثلاثاً .

راقبه «أوجست» بنظرات قلقة وقال : —

أمسكه جيداً لاتمكن من امتطائه .

السائس:

ليس هناك من خطر ياسيدي فالحيوان ليس شريراً وأنت لست بحاجة لان تتخوف .

أوجست (منزعجاً):

أني لست بخائف بالمرة ، هل يبدو عليٍّ كوني خائفاً ، أنا الذي

لاأخاف من أي شيْ !

انتهى «أوجست» من ركوب الحصان وراح يسحب الزمام ، والحصان يتراجع ، فتمسك «أوجست» بالسرج .

فقال له السائس ضاحكاً : —

«لاتسحب ياسيدي ، لاتسحب ، فالحصان لايعامل كما يعامل الحمار» .

ترك «أوجست» الزمام وتقدمت أنا مع «هنري» في الأمام وتبعنا «بيير» راكباً حمار المزرعة .

فكرت بمكر بأن أكون راكضاً في المقدمة وراح البوني محاولاً التقدم عليَّ ، فبدأت أسرع في خطواتي . ضحك «بيير» و «هنري» .

وصاح «أوجست» وهو يمسك بعرف الحصان ، وراح الجميع يركض، اما أنا فكنت قد قررت عدم التوقف مالم يقع «أوجست» أرضاً .

تأثر البوني بالضحكات والصيحات ، فلم يتأخر عن اللحاق بي وتجاوزي ، فتبعته عن كثب وعضضت على ذيله عندما بدا محاولاً التخفيف من سرعته ، وتسابقنا هكذا خلال أكثر من ربع ساعة كاد «أوجست» أن يسقط في كل مرة ، ولكنه يتعلق برقبة الحصان .

ولكي أُعجل بسقوطه فقد عضضت بقوة أكثر ذيل البوني الذي راح يدور ويرفس بكل قوته .

في الرفسة الأولى تعلق «أوجست» برقبة الحصان في الرفسة الثانية قفزت فوق رأس الدابة وسقط أرضاً فوق الحشائش وتمدد دون حراك .

ظن «بيير» و «هنري» بأنه قد جُرح ، فقفزوا أرضاً راكضين نحوه لكي يرفعاه عن الأرض .

فناديا عليه قلقين : —

«أوجست ، أوجست ، هل جُرحت ؟

— لاأظن ذلك لاأعلم ، أجاب «أوجست» الذي نهض وهو مايزال يرتجف من الخوف الذي انتابه .

عندما نهض كانت أرجله مطوية وأسنانه تصطك ، فعاينه «بيير» و «هنري» فلم يجدا مايشير الى انه قد جُرح بأي شكل ، ناظرين له نظرة شفقة ونفور . وقال «بيير» : —

«من الحزن أن تكون جباناً لهذا الحد .

— أنا .... كلا ... أني ... لا ... جبان ... فقط ... كنت .... خائفاً .

أجاب «أوجست» وأسنانه ماتزال تصطك .

— أتمنى أن لاتكون ملحاً بعد الأن على ركوب حصان البوني وأضاف «بيير» خذ حماري وسآخذ أنا الحصان .

— أني أفضل أكثر «كادشيون» قالها «أوجست» مترجياً .

فأجابه «هنري» .

— كما تريد ، خذ كادشيون ، وسآخذ أنا «كريسون» حمار المزرعة .

حركتي الأولى كانت لمنع هذا الشرير «أوجست» من ركوبي ، لكني فكرت بخطة أخرى تنهي يومه وتخدم بشكل أفضل قصتي معه وشروري ايضاً .

فتركت عدوي هذا يمتطي ظهري بكل هدوء وتبعت عن بعد حصان البوني .

عند العودة عن طريق المزرعة ، كنا نسير محاذين لحفرة تصب فيها مجاري المياه القذرة المليئة بالدهون القادمة من المطبخ والتي ترمي فيها كل أشكال الأقذار التي كانت تتعفن في هذه المياه لتكون طيناً أسود عفن .

تركت «بيير» و «هنري» يمران أمامي ، وعند وصولي بالقرب من الحفرة ، تحركت بأتجاه الحافة قائماً برفسة في الوقت نفسه ، بحيث رميت «أوجست في وسط الوحل وبقيت هادئاً وانا أراه يتخبط في الطين الأسود النتن الذي أعماه .

حاول الصياح ولكن المياه الآسنه دخلت فمه ، فقد غطته حتى أذنيه .

ولم يقدر على الوصول الى الحافة ، ضحكت بداخلي قائلاً لنفسي : —

«ميدور ، لقد أنتقمت لك ياميدور» .

لم أفكر بالسوء الذي قمت به تجاه هذا الصبي المسكين ، الذي بقتله «لميدور» أرتكب عملاً خاطئاً وليس شريراً ، فلم أرغب في أن أكون أنا الأكثر سوءاً منه .

استغرب «بيير» و «هنري» عدم مشاهدتنا لاأنا ولا «أوجست» فنزلا عن الحمار والحصان ورجعا سائرين على الأقدام ليشاهداني واقفاً على حافة الحفرة أتأمل برضى عدوي الذي يتخبط ، أقتربا مطلقين صرخة عند مشاهدتهم «لأوجست» في هذا الوضع السيئ متعرضاً لخطر حقيقي

بالأختناق بالطين .

صاح على الأولاد في المزرعة ، فمدوا له عصا طويلة ، حيث تعلق بها وتم سحبها وسحب «أوجست» من الطين .

عندما أصبح على الأرض اليابسة ، كان مغطى بالأطيان ، تفوح منه الروائح النتنه .

قال «بيير» : —

«يتوجب الذهاب لاخبار والده .

— ومن ثم والدي وأعمامي ، أجاب «هنري» .

الذين سيقولون لنا مايجب عمله لتنظيفه .

— هيا بنا ، تعال يا «أوجست» ، اتبعنا ولكن من بعيد ، حيث إن هذا الطين يبعث رائحة غير محتملة .

كان «أوجست» مضحكاً . أسود من الطين ، يرى بصعوبة ، باحثاً عن سبيله ، يتبعهم من بعيد . وكنا نسمع استغراب وتساؤلات المزارعين وكنت قد شكلت الطليعة منهم حيث رحت أركض وأنهق بكل ماأوتيت من قوة .

بدا على «بيير» «وهنري» عدم الرضا من سروري هذا فراحا يصيحان عليَّ لكي أتوقف عن النهيق .

وهذه الضوضاء غير الاعتيادية جلبت الانتباه لكل ساكني المنزل ، فالكل يعرف صوتي ويعرفون بأني لاأنهق بهذه الصورة إلا في الحوادث الكبيرة ، فراحوا يتطلعون من النوافذ وحين وصولنا شاهدنا كل النوافذ مليئة بالوجوه المتسائلة .

وسمعنا صرخات وحركات غير طبيعية ، بعد ذلك بلحظات هبط الجميع ، كباراً وصغاراً ، شباباً وشيوخاً . مشكلين حلقة حولنا .

كان «أوجست» في الوسط والكل يتساءل عما جرى له ويهرب من الاقتراب منه .

وكانت الجدة أول المتحدثين فقالت : —

«يتوجب غسل هذا الصبي المسكين وملاحظة إن كانت هناك جروح في جسمه .

— لكن كيف نغسل له ؟ قال والد «بيير» يجب تجهيز الحمام فأجابه والد أوجست» : سأقوم انا بهذا العمل ، أتبعني يا «أوجست» ، أني أرى من مشيتك بانك غير مجروح .

تعال الى البركة ، عليك أن تسبح فيها ، وعندما تنظّف نفسك من الأطيان استعمل الصابون وبذا تنتهي من تنظيف نفسك .

والماء ليس ببارد في هذا الموسم ، وسيعيرك «بيير» بعض المناشف والملابس .

واتجها نحو البركة : ، كا أوجست خائفاً من والده ولكن توجب عليه اتباعه .

ركضت لكي أشهد العملية ، الطويلة والمتعبة : لأن هذا الطين الدهني اللاصق : يتعلق بالجلد والشعر .

كلف الخدم بجلب المناشف والصابون ، الملابس والأحذية .

وقد ساعد الآباء في غسل «أوجست» الذي أنهى حمامه هذا بعد أكثر من نصف ساعة ، نظيفاً تقريباً لكنه مرتعش برداً ، خجل جداً

بحيث أنه لم يرغب في أن يراه أحد وقد طلب من والده أخذه مباشرة إلى البيت .

خلال ذلك الوقت ، أراد الكل معرفة كيفية حصول هذا الحادث فقص عليهم «بيير» و «هنري» سقوط «أوجست» .

قال «بيير» : -

«أظن بأن سقوطه مرتين كان بسبب «كادشيون»، الذي لا يحب «أوجست»، فقد عض كادشيون ذيل حصان البوني . وهذا مالم يحصل عندما كان يمتطيه أحدنا ، أنا و «هنري» مما اضطره لكي يقفز لأن الحصان راح يرفس مما تسبب في وقوع «أوجست» أما عن سقوطه ثانية ، فأنا لم أكن حاضراً ، لكن شعور الانتصار لدى «كادشيون» والنهيق المُفرِح والتصرف الذي مازال يقوم به لحد الآن ، من السهولة أن يقودنا لمعرفة كونه قد أسقط «أوجست» متعمداً في الطين «أوجست» الذي يكن له الكراهية .

سألته «مادين» : -

-كيف تعرف بأنه يكرهه ؟

أجابها «بيير» : -

-لقد أظهر ذلك بألف وسيلة ، فهو عند رؤيته «لأوجست» يبدي شراً لم أره عليه إلا عندما يرى أُناساً يكرههم . ونحن الآخرين لا ينظر لنا نفس هذه النظرة .

فمع «أوجست» تلمع عيناه كالجمر وهو ينظر له نظرة كأنها نظرة شياطين .

اليس كذلك يا «كادىشيون»، أضاف وهو ينظر لي بثبات ، أليس كذلك يا «كادىشبون» لقد حزرت بأنك تكره «أوجست» وإن كل ماقمت به نحوه من أعمال شريرة كان متعمداً ؟ »

أجبت بالنهيق ومن ثم بتمرير لساني على يده .

قالت «كامي» : –

«ألا تعرف بأن «كادىشيون» هو حمار غير اعتيادي فعلاً ؟ أني متأكدة من كونه يسمعنا ويفهم ما نقول .

نظرت لها برقة ، واقتربت منها واضعاً رأسي فوق كتفها .

فقالت كامي : –

«ياللخسارة ، ياكادىشيوني ، كونك أصبحت شريراً ومنفعلاً أكثر فأكثر وأنت ترغمنا على أن نحبك أقل وأقل ، وللأسف كونك لاتقدر على الكتابة ! قد رويت لنا أشياء كثيرة ممتعة .

أضافت «كامي» وهي تمرر بيدها على رأسي وعلى رقبتي ، فلو تمكنت من كتابة مذكراتك ، فأني متأكدة من أنها ستكون ممتعة جداً !

هنري

ماهذه السخافات التي تقولينها ، يا «كامي» المسكينة ؟ كيف تريدين أن يكون «كادىشيون» – وهو حمار – قادراً على كتابة مذكراته ؟

كامي

إن حماراً «ككادىشيون» هو حمار من نو آخر .

هنري

عجباً ! كل الحمير تتشابه وهم ليسوا أبداً إلا حميراً .

كامي

هناك حمار وحمار .

هنري

ولكن هذا لايمنعنا من أن نقول عن الانسان بأنه غبي ، مهمل ، مُعاند او انه «غبي كحمار ، مهمل كحمار ، معاند كحمار» وعندما تقول لي «هنري أنك حمار» فأني أغضب ، لاني بالتأكيد سأفسر هذا كونه شتيمة .

كامي

عندك الحق ، لكن مع هذا أني أحس وأرى أولاً بأن «كادشيون» يفهم الكثير من الأشياء ، ونحن نحبه ، ولديه ذكاء غير اعتيادي ، ومن ثم كون الحمير ليسوا «حميراً» إلا لأننا نعاملهم «كحمير» يعني بقساوة وبسوء ، ولذا فهم غير قادرين على حب أصحابهم أو خدمتهم بشكل جيد .

هنري

اذن وتبعاً لرأيك ، فبالشطارة تمكن «كادشيون» من كشف اللصوص وقام بأعمال عديدة ، بدت غير اعتيادية .

كامي

بالتأكيد ، تم هذا بسبب ذكائه ، وكونه يريد ذلك ، فقد تمكن من الامساك باللصوص وإلا فماذا تفسر ذلك برأيك ؟

هنري

لأنه شاهد في الصباح زملاءه الحمير يدخلون في السراديب وأنه أراد

أن يلحق بهم .

كامي

وفيما يتعلق بموضوع الحمار المُدَّرب ؟

هنري

كان ذلك بسبب الغيرة والشر .

كامي! وسباق الحمير؟

هنري

كان بفضل شعوره بالتمييز .

كامي

والحريق ، عندما أنقذ «بولين» ؟

هنري

كامي

أخرس يا «هنري» أنك تجعلني أفقد صبري .

هنري

لكنني أحب كثيراً «كادشيون» أني أذكر لك ذلك فقط لكوني أُعامله كما هو كحمار ، وأما أنت فأنك تعتبر ينه كالجني . وحتى إن كان لديه الذكاء والإرادة التي ترينها فيه ، فأنه شرير ومكروه .

كامي

كيف ذلك ؟

هنري

عندما جعل من الحمار المدرب المسكين وصاحبه اضحوكة ، وعندما

منعهما من ربح الأموال التي كانت ضرورية لهما لكي يعيشا .

ومن ثم عندما قام بألف عمل سيئ تجاه «أوجست» الذي لم يؤدبه مطلقاً ، وأخيراً عندما جعل نفسه مكروهاً ومخيفاً من كل الحيوانات التي يعضها أو يهزمها بضربات حوافره .

كامي

ماتقوله صحيح ، وأنت محقٌ .

يا «هنري» أني أفضل الاعتقاد بأن «كادشيون» لايعرف ماذا يعمل ولايعرف الضرر الذي قام به وذلك من أجل سمعته وشهرته .

أبتعدت «كامي» راكضة مع «هنري» تاركيني وحدي مزعوجاً مما سمعت .

شعرت جيداً بأني «هنري» على حق ، لكنني لم أرد أن أعترف لنفسي بهذا ، وبشكل خاص فانيً لاأريد .

العقاب

في الصباح التالي كان الوقت قد أصبح متأخراً ، عندما أخرجوني وذهبت بأتجاه البيت . فشاهدت الأطفال متجمعين أمام السلم ويتحدثون بانفعال وحركات .

فقال «بيير» وهو يراني أقترب منهم : —

«هاهو كادشيون الشرير ، لنطرده ، فهو قد يعضنا أو يقوم بأعمال

شريرة تجاهنا ، كما فعل مع سيئ الطالع «أوجست» .

كامي

ماذا قال الطبيب لوالدي قبل حين ؟

بيير

قال بأن «أوجست» مريض جداً ، فلديه الحرارة العالية وقد بدأ يهذي .

جاك

ماهو الهذيان ؟

بيير

الهذيان ، يعني أن تكون لدينا الحرارة العالية ، فلا ندري ماذا نقول ولانعرف أحداً ونعتقد بأننا نرى أشياء كثيرة غير موجودة .

لويس

ماهي الأشياء التي يراها «أوجست» إذن ؟

بيير

يظن دوماً بأنه يرى «كادشيون» الذي يريد رمي نفسه عليه ، ويعضه ويطأه بقدمه ، والطبيب قلق جداً ، وقد ذهب والدي وأعمامي لرؤيته .

مادين : —

يا له من شرير «كادشيون» هذا ، حين رمى المسكين «أوجست» داخل تلك الحفرة القذرة !

— نعم إن هذا العمل شرير جداً ياسيدي صاح «جاك» وهو يلتفت

نحوي .

أذهب فانك شرير! وأني لاأحبك بعد الأن .

- ولاأنا ، ولاأنا ولا أنا ، كرر كل الأولاد بصوت واحد .

أذهب، نحن لانريدك .»

كنت مذهولاً ، الكل حتى الصغير «جاك» الذي أحبه دائماً برقة . الكل طردوني، دفعوني .

أنتظرت بفارغ الصبر حتى اليوم التالي لكي أطلع على أخبار «أوجست».

كنت من أوائل الحاصلين على الأخبار ، كون «جاك» و «لويس» كانا قد ربطاني بالعربة الصغيرة لجرها ، فوجدنا عند وصولنا أحد الخدم يركض باحثاً عن الطبيب الذي قال لنا وهو يمر من جانبنا بأن «أوجست» قد قضى ليلة سيئة وأصبحت لديه اختلاجات وإن والده مظطرب جداً جراء ذلك .

انتظر «جاك» و «لويس» الذي لم يتأخر في القدوم والذي وعدهم باعطائهم الأخبار عند مغادرته.

بعد مرور نصف ساعة نزل الطبيب من السلّم فخاطبه «جاك» و «لويس» : -

«ماالأمر؟ ماالأمر؟ ياسيد «تيدو» ، كيف هي صحة «أوجست» ؟

السيد «تيدو» (ببطء شديد)

ليس سيئاً، ليس سيئاً ، ياأطفالي ! ليس سيئاً ، كما كنت اخشى.

لويس

وهذا التشنّج ، اليس خطراً ؟

السيد تيدو (ببطء)

كلا ، أنه نتيجة القلق والانزعاج ، والاظطراب الشديد ، لقد أعطيته بعض الحبوب المهدئة ووضعه لن يكون خطراً .

جاك

إذن ، أنت لست قلقاً ياسيد «تيدو» ، ألاتعتقد بأنه سيموت ؟

السيد تيدو:

كلا ، كلا ، ! هذا لن يكون خطراً ، ليس خطراً بالمرة .

لويس وجاك

إننا سعداء جداً ! شكراً ياسيد «تيدو» الى اللقاء ، سننصرف بكل سرعة لكي نطمئن أعمامنا وعماتنا .

السيد تيدو

انتظرا ، انتظرا ، دقيقة واحدة ، هذا الحمار الذي أقلكم ، أليس هو كادشيون ؟

جاك

نعم ، انه كادشيون .

السيد تيدو (برقة)

إذن ، احذروا ، فهو يقدر أن يرمي بكم في حفرة كما فعل مع «أوجست». قولوا لجدتكم بأنها تقوم بعمل جيد لو باعته، فهو حيوان خطر .»

حيانا السيد «تيدو» وغادر . وبقيت أنا مندهشاً جداً ومهاناً .
ولم أفكر في السير في الطريق إلا عندما كرر الأولاد ثلاث مرات :
«هيا ، ياكادبشيون ، سر! هيا ياكادبشيون ، أننا مستعجلون!
هل سننام هنا ، كادبشيون ؟ هي ! هي ! ها ! »
تحركت في النهاية ، وركضت بخط مستقيم حتى وصلت حيث كان ينتظر أبناء الأعمام والأخوال والأعمام والعمات والآباء والأمهات .

فصاح «جاك» و «لويس» : -
«أنه يتحسن» وراحا يقصان حوارهما . مع الدكتور «تيدو» دون نسيان نصيحته الأخيرة .

أنتظرت فاقداً الصبر، قرار الجدة .

فكرت برهة :
«بالتأكيد، ياأعزائي الأطفال بأن كادبشيون يستحق بعد الأن ثقتنا به ، وأني أطلب من الصغار منكم عدم ركوبه، وبمجرد ان يرتكب أول حماقة ، سأعطيه الى الطّحان الذي سينقل عليه أكياس الطحين ، لكني أريد أن أجربه مرة أخرى قبل أن أضعه في هذا المكان وقبل ان يكون في هذه الحالة من الأهانة ، فربما سينصلح وسنرى ذلك بعد عدة أشهر» .

جاءت أخبار «أوجست» في اليوم التالي مشيرةً الى تحسنه ، وبعد ذلك بعدة أيام دخل في دور النقاهة ، ولم يعد أحد مخصص للعناية به في القصر. ولكن هذا الحادث بقي يلازمني ، حيث كنت أسمع - بلا توقف - الكل يقول من حولي :
«أحذر كادبشيون ! وتذكر أوجست ! » .

التحول

منذ ذلك اليوم الذي رميت فيه «أوجست» في الطين كان التغيير الحاصل في تصرف أصحابي الصغار وابائهم والناس الذين يسكنون الدار واضحاً .

وحتى الحيوانات لم تعد تعاملني كذي قبل . فيبدو عليهم أنهم يتحاشونني ، فعند قدومي يبتعدون ، ويصمتون بحضوري .

في احد الأيام كنت وحيداً كالعادة ، ممدداً تحت شجرة الصنوبر فرأيت «هنري» و «اليزابيث» يقتربان مني حيث جلسا وأخذا يتحدثان :

فقالت «اليزابيث» : —

«أعتقد ياهنري بأنك على حق ، وأني أقاسمك هذا الشعور فأنا أيضاً ، أنا تقريباً لا أحب كاديشيون منذ أن كان شريراً مع «أوجست»

هنري

ولكن ليس فقط «أوجست» ، أتتذكرين أحتفال مدينة «ليجل» عندما كان سيئاً جداً مع صاحب الحمار المُدرَّب

اليزابيث

آه ! آه ! آه ! أني أتذكر ذلك جيداً . لقد كان مضحكاً ، كل الناس كانوا يضحكون ، لكن مع هذا ، لقد وجدنا جميعاً بأنه قد أظهر ذكاءً ولكنه بلا أية عاطفة .

هنري

هذا صحيح ! لقد اهين ذلك الحمار المسكين وصاحبه المُدرب ، وقد قالوا لي بأن سوء الطالع هذا اضطره للمغادرة من دون أن يربح شيئاً ، لأن كل الناس ضحكوا عليه ، وعند مغادرته كانت زوجته وابناؤه يبكون ، فلم يكن لديهم مايأكلونه .

اليزابيث

أنها كانت غلطة كادشيون .

هنري

بالتأكيد ! فلولاه لكان الرجل المسكين قد ربح مايمكنه من العيش بضعة أسابيع .

اليزابيث

ومن ثم أتتذكر ماقصوا علينا حول شروره عندما كان لدى صاحبته القديمة ؟

لقد أكل الخضروات ، وكسر البيض ، ولطّخ الغسيل ، لذا فأني سأفعل كما تفعل أنت ، لم أعد أحبه » .

لقد انتهيت بأن أصبحت مكروهاً من الجميع . كنت وحيداً ، لاأحد يأتي بالقرب مني لكي يترضاني، ويداعبني ، حتى الحيوانات تهرب مني .

فساءلت نفسي بحزن .

«مالعمل ؟ لوكنت أقدر على الكلام ، فسأذهب وأقول لكل هؤلاء بأني أطلب المعذرة في كل الذين أسأت لهم ، وسأكون صالـ[illegible]ـقاً في

المستقبل .

لكني غير قادر على جعلهم يفهمونني ، كوني لاأتكلم » .

متعباً من نهار اليوم ، ضجراً من الحزن والندم على حياتي السابقة ، رحت نائماً على القصب . وقد لاحظت بان فراشي هذا كان أقل جودة ، وأقل سمكاً من فراش زملائي الآخرين .

وعوضاً من أن أنفعل كما كنت أعمل سابقاً قلت إن هذا جيد وعادل وحدثت نفسي .

«كنت شريراً ، وهم يعاقبوني على ذلك ، لقد كرهت نفسي ، وجعلوني أشعر بهذا ، ويجب عليَّ أن أكون سعيداً ، لكونهم لم يبعثوا بي الى الطاحونة . حيث سأُضرب ، وأعامل بقسوة ، وسأنام بشكل غير جيد » .

تألمت بعض الشيْ ورحت نائماً بعد ذلك .

عندما صحوت ، شاهدت السائس يدخل وقد أيقظني بركلة من قدمه ربط زمامي وتركني طليقاً

بقيت على الباب وشاهدته باندهاش يمشط باعتناء زميلاً لي ، واضعاً عليه بردعة جميلة ورابطاً عليه سرجي الانكليزي، وقاده بعدها الى باحة القصر.

بقيت قلقاً راجفاً من الانفعال . وحين تبعته ، ازداد حزني وأسفي وبخاصة عندما شاهدت «جاك» صاحبي الصغير الذي أحبه كثيراً يقترب من زميلي الحمار ويمتطيه بعد تردد بسيط !

بقيت منكسراً بلا حراك .

«جاكْ» الصغير الطيب لاحظ ألمي فاقترب مني وداعب رأسي ، قائلاً لي بحزن:

«مسكين يا كادشيون ! أنت ترى ماذا فعلت ! أني لا أقدر على ركوبك فأمي وأبي خائفان من كونك سترمي بي أرضاً وداعاً يا كادشيون المسكين كن هادئاً فأني أحبك دائماً» غادر ببطء يتبعه السائس الذي كان يصيح عليه:

«خذ حذرك-ياسيد جاك لاتبقَ بالقرب من كادشيون فأنه سيعضك سيعضك هذا الحمار أنه شرير وأنت تعرف ذلك جيداً»

فأجابه «جاك»

-أنه لم يكن شريراً مطلقاً معي وسوف لايكون كذلك أبداً، ضرب السائس الحمار فأنطلق مسرعاً ولم أعد أراه بعد حين، بقيت في نفس المكان متحطماً بأحزاني ومما ضاعف ذلك انني صرت غير قادر على تحمل ثقل الآلام التي تعصر، قلبي فقد خرجت راكضاً من دون معرفه الى أين سأذهب

ركضت طويلاً، كاسراً الحواجز، قافزاً الحفر، قاطعاً الأنهارولم أتوقف إلا مقابل جدار من غير الممكن تهشيمه أو عبوره سمعت خطوات ثقيله تقترب من الجدار وصوت رجل يتكلم بلطف «مافائدة البكاء أيها الكسول ؟ فالدموع لاتعطيك الخبز اليس هذا صحيحاً؟

كوني لا أملك ماأعطيك ماذا تريدني أن أفعل ؟

أتظن بأن معدتي مملوءة جيداً، أنا الذي لم آكل منذ صباح أمس إلا الهواء والغبار ؟

-أني تعب جدا ياوالدي .

-ثم ماذا؟ دعنا نسترح ربع ساعة في ظل هذا الجدار فأنا محتاج لقسط من الراحه:

أستدارا حول الحائط وجاءا للجلوس بالقرب من المكان الذي كنت فيه.

تعرفت باندهاش على صاحب الحمار «مير ليفلور» المسكين وزوجته وأبنه.

الكل كانوا نحولاً ويبدو عليهم الأعياء.

نظر الي الأب فبدت عليه الدهشه وقال بعد تردد : «إن كنت أرى جيداً فهذا هو الحمار كادشيون الحمار الذي جعلني أخسر في معرض مدينة «ليجل» أكثر من خمسين فرنكاً.

وأستمر موجهاً كلامه لي لقد كنت السبب في جعل حماري «مير ليفلور» مهزله للجمهور. لقد منعتني من ربح مبلغ من المال كان بأمكانه أن يسد رقمي خلال أكثر من شهر ، ستدفع لي هذا ، نهض متقدماً نحوي ، لم أحاول الابتعاد ، شاعراً كوني أستحق أنفعال هذا الركل ، فبدت عليه الدهشه .

فقال :

«إنه ليس هو إذن ، لأنه لم يتحرك ولاقيد أنمله ...

؟ياللحمار الجميل أضاف وهو ....؟ أرجلي ، لوكنت قادراً على الحصول عليك لمدة شهر واحد فقط ، فلن تفتقد الخبز ياولدي ،ولا والدتك أيضاً وستكون معدتي أنا أقل فراغاً» لقد نجحت لعبتي في الحال

، فقررت أتباع هذا الرجل بضعة أيام لكي أصلح الخطأ الذي أرتكبته بحقه ، ولكي أساعده على ربح بعض الأموال له ولعائلته.

عندما عاودوا السير تبعتهم ، فلم ينتبهوا لذلك في البدايه لكن الأب التفت الى الوراء عدة مرات فشاهدني أسير دائماً في أعقابهم أرادوا أبعادي ولكني رفضت ، وعدت بأصرار آخذاً مكاني بالقرب منهم أو وراءهم .

فقال الرجل :

ياللغرابه ! هذا الحمار الذي يصر على أن يتبعنا في الواقع ، إن كان هذا يسره فلندعه يفعل مايريد، عند وصولنا الى القريه تقدم الى أحد أصحاب الفنادق وطلب منه العشاء ومن ثم المبيت قائلاً له بكل أعتداد أنه لايملك فلساً في جيوبه ، فأجابه صاحب الفندق :

«لدينا مافيه الكفايه من المتسكعين في هذا البلد ، دون الحاجه الى من هم ليسوا منه فأذهب وأطلب المأوى في مكان آخر، أقتربت في الحال من صاحب الفندق ورحت احييه مرات عديده بالشكل الذي جعله يضحك ، فقال ضاحكاً :

«إن لديك حيواناً لايبدو عليه الغباء ، إن أردت أن تضحكنا بهذا الدور فلا بأس من أعطائكم الأكل وجعلكم تقضون ليلتكم هنا .

أجاب الرجل :.

لن نرفض هذا ، فسنقدم لك عرضاً ، لكن بعد أن نكون قد وضعنا شيئاً في معدتنا ، فنحن صيام وهكذا لن يخرج صوتنا صافياً عند أعطاء الأوامر .

عقب صاحب الفندق :

-أدخلوا ، أدخلوا ، سنخدمكم في الحال ياعزيزتي «ماديلون قدمي العشاء لهؤلاء الثلاثة من دون أن تحسبي الحمار».

قدمت لهم «ماديلون» حساءً شهياً ، حيث ابتلعوه برمش العين ، بعدهااللحم المسلوق بالكرنب ، الذي أختفى أيضاً ، في النهايه قدمت السلطه والجبن ، حيث أقبلوا عليها بشراهه أقل. اعطوني حزمة من العلف ، فأكلته بالكاد ، حيث كان قلبي حزيناً ولم أكن جائعاً .

راح صاحب الفندق ، يقنع أهل القريه لكي يشاهدوني كيف أؤدي التحيه . أمتلأت الباحه بالناس فدخلت في الدائرة ، حيث قدمني صاحبي الجديد ، الذي وجد نفسه مضطراً جداً ، لانه لا يعرف ماذا بأمكاني أن أعمل ، وإن كنت قد تدربت كحمار ولكن لا على التعيين قال لى : -

«حي هذا الجمع»

حييتهم يميناً ، يساراً ، أمامي ، وراني والكل راح يصفق .

خاطبته زوجته بصوت منخفض :

ماذا ستطلب منه أن يعمل؟ فهو لا يعرف ماتريد .

- ربما تعلم على هذا ، فالحمير المدربه ذكيه . وسأجرب ذلك .

- هيا يا «مبرليفلور» (هذا الاسم جعلني أتحسر) .

اذهب وقبّل أجمل أمرآه في هذا الجمع ،

نظرت يمنة ويسرة ، فلاحظت ابنة صاحب الفندق سمراء جميله ذات خمسة أو ستة عشر ربيعاً ، تقف وراء كل الناس ، توجهت

نحوها ، فرقت برأسي أولئك الذين كانوا يعيقون مروري ووضعت أنني على جبهة الصغيرة التي راحت تضحك وقد بدا عليها الفرح .

قال البعض ضاحكين :

«قلْ إذن أيها الأب «هتفير» لقد علمته أنت ذلك اليس هذا صحيحاً ؟

– كلا، بشرفي ، أجاب «هتفير» أني لم أكن أتوقع هذا .

قال الرجل :

– الآن يا « ميرليفلور» إذهب وأبحث عن شيءٍ ما ، لايهم ماذا كل ما يمكن العثور عليه ، واعطه الى الرجل الأكثر فقراً في الجمعً توجهت نحو الصاله التي كنا قد تناولنا طعام العشاء فيها أخذت الخبز وحملته منتصراً ووضعته بين يدي صاحبي الجديد .

ضحك الجميع وصفق كل الناس . وصاح أحد الأصدقاء :

«هذا ليس من صنعك أيها الأب «هتفير فهذا الحمار مدرب حقاً وقد أستفاد جيداً من دروس معلمه .

وقال أحد الواقفين :

– هيا ، هل ستترك الخبز له ؟

–كلا ، أجاب «هتفير» أرجع الخبز ياصاحب الحمار ، فهذا لم يكن من ضمن أتفاقنا .

أجاب الرجل :

– هذا صحيح ياصاحب الفندق ، ولكن مع هذا فأن حماري قد قال الحقيقة عندما جعل مني الرجل الأكثر فقراً من بين هذا الحشد . اذ ليس لدينا ما نأكل منذ صباح البارحة ، زوجتي وأنا وابنتي . ولا نملك فلسين

لكي نشتري الخبز .

أجابت «هنريت» ابنة صاحب الفندق :

- أترك لهم الخبز ياوالدي فنحن لا نفتقده والرب سيرزقنا به مجدداً .

- أنتِ دائماً هكذا يا «هنريت» فأن سمعت كلامك ، فسنعطي كل مالدينا . أجاب الأب .

- نحن لسنا فقراء مثلهم ياوالدي والرب بارك دائماً بمحصولنا وبيتنا .

- هيا . . . . كونك تريدين ذلك ، فليحتفظ بخبزه ، فأني موافق على هذا .

بعد حديثه هذا ، ذهبت نحوه وسلمت عليه بقوة ، ثم رحت حاملاً بأسناني وعاءً خزفياً فارغاً ، مقدماً أياه لكل شخص لكي يضع فيه ما يجود به من حسنه . وعندما أنهيت جولتي هذه كان الوعاء ممتلئاً ، فرحت مفرغاً أياه بين يدي صاحبي ، وأعدت الوعاء الخزفي الى مكانه الذي أخذته منه وحييت الجميع وانسحبت بصعوبه وسط تصفيق الحضور .

كان قلبي فرحاً ، فقد شعرت بالراحة وبقوة العزم والثقة بتوجهاتي الخَيّرة .

وصاحبي الجديد ، بدا ممتناً ، فأراد الأنسحاب وَلكن الناس التفوا حوله ، طالبين منه تقديم عرض ثانٍ في اليوم التالي ، فوعدهم بعجاله وراح الى الصاله لكي يستريح هو وزوجته وابنته . عندما أصبحوا بمفردهم ، تلفتت المرآة يمنة ويسرة وحين لم تشاهد غيره قالت لزوجها

بصوت خافت : -

«قل لي يازوجي مع كل هذا فأن ما حصل شيئ يثير الضحكّ أهذا جنون ، هذا الحمار الذي جاءنا خارجاً من مقبره وأرتاح لنا جعلنا نربح المال !

كم أصبح لديك من النقود بين يديك ؟

- لم أعدهَّا بعد ، ساعديني ، خذي هذه حفنه لك وحفنه لي .

- قالت المرآه بعد أن حسبتها . لديّ ثمانية فرنكات وأربعةفلوس .

الرجل : وأنا لديّ سبعة ونصف ، كم يساوي ، هذا كم يساوي يازوجتي ؟

المرآة : كم يساوي هذا ؟ ثمانية وأربعة تساوي ثلاثة عشر ، زائد سبعة تساوي أربعة وعشرين ، ومن ثم خمسين يساوي . . . .يساوي . . . شيئاً ما مثل ستين .

- **الرجل** : يالكّ من مغفلة ألدي ستين فرنكاً في يدي ؟ مستحيل ! إنظر ياولدي . انت الذي درست ، عليكّ معرفة ذلك

الصبي : ماذا قلت ياوالدي ؟

الرجل : قلت ثمانية فرنكات وأربعة فلوس من جهه وسبعة فرنكات وخمسين فرنكاً من جهه أخرى .

الصبي (بجدية) : ثمانية وأربعة تساوي أثنى عشر ، واحد باليد ، زائد سبعة يساوي عشرين ، أثنانِ باليد . زائد خمسين يساوي . . . . يساوي . . . خمسين . . . اثنين وخمسين .

اثنين وخمسين ، باليد خمسة .

الرجل : غبي كيف يساوي هذا خمسين ، فلدي ثمانيه في اليد وسبعه في اليد الأخرى ؟

الصبي : إضافة للخمسين ياوالدي ؟

الرجل : (مقلداً الصبي) : ي) :

اضافة للخمسين ياوالدي ؟ ألاترى ، أيها الكسول الكبير بأن الخمسين هي أفلاس كما قلت لك ، والأفلاس ليست فرنكات .

الصبي : كلا ياوالدي . ولكن مع هذا فهي دائماً خمسين .

الرجل : خمسين ماذا ؟ ياللحيوان ! ياللمغفل ! لو أعطيتك خمسين فلساً ، أهذا يساوي خمسين فرنكاً ؟

الصبي : **كلا ياوالدي ، لكنه يساوي خمسين دائماً .**

الرجل : هذه واحدة لكي تحسبها أيها الحيوان الكبير !

وعاجله بصفعه سمعت في أرجاء الفندق ، وراح الصبي يبكي بينما كنت مترعجاً

إن كان الولد غبياً وهذه ليست غلطته ، فقلت لنفسي . «هذا الرجل لا يستحق عطفي ، فهو بفضلي حصل على ما يمكنه من العيش لمدة ثمانية أيام ، وأود أن أجعله يربح مجدداً في عرض يوم غد وبعد ذلك سأعود الى أصحابي ، فربما يستقبلوني بمحبة

عندما جاء نهار اليوم التالي ، جاءوا لاصطحابي فأخذني صاحبي الى ساحة كبيره كانت مليئه بالناس ، وكانوا قد طلبوا لي منذ الصباح ، وهذا يعني بأن طبّال القريه قد تجول فيها منذ الصباح الباكر منادياً «هذا المساء سيقام عرض كبير للحمار المُدربّ ، المسمى «ميرليفلور» والتجمع

في الساعة الثامنة في الساحة المقابلة للبلدية والمدرسة» . كررت نفس فقرات اليوم السابق وأضفت لذلك رقصات نفذتها بشيء من الدلال ، فرقصت «الفالس» و «البولكا» ولعبت مع «فرديناند» أحد الصبية العاملين في الاسطبل . ذاعياً له لكي يرقص «الفالس» وذلك بالنهيق أمامه ، وبتقديمي لرجلي الأماميه وكأني أوجه له الدعوة رفض في البداية لكن بما إن الحضور راحوا يصحون !

«نعم ، نعم ، رقصة فالس مع الحمار !»

فقد تقدم الى وسط الساحه ضاحكاً وراح يقفز ورحت أنا أقلده بدوري.. أخيراً شعرت بالتعب فتركت «فرديناند» وحده ورحت كما فعلت بالأمس باحثاً عن الاناء الخزفي لكني لم أجده ، فأخذت بأسناني سلةً دون غطاء ورحت أدور بها على الحضور مقدماً سلتي لكل حاضر.

ملئت السله بعد حين ، فتوجب عليّ أفراغها في صدرية هذا الذي يضنه الجميع صاحبي وعدت مجدداً الى جمع الأموال ، لدرجة أن كل الحضور ساهموا بذلك . حييت الجميع وأنتظرت لكي يقوم صاحبي تعداد المال الذي أربحته اياه هذا المساء والذي بلغ أكثر من أربعة وثلاثين فرنكاً .

وجدت نفسي قد قدمت له مافيه الكفايه وأن خطأي السابق قد صُححَ وأن بأمكاني العوده الى أصحابي عندها حييت صاحبي والناس وتركت المكان .

الترضية

بحثت بلا جدوى عما يمكن عمله لكي أبرهن على ندمي « لأوجست »

اقترب الأولاد من الساحه التي كنت واقفاً أفكر فيها وأنا آكل العشب . فقد شاهدت «أوجست» واقفاً على مسافة مني وهو ينظر لي نظرات حذرة .

بيير :

إن الجو حار هذا اليوم ، وأنا لا أعتقد بأن تجولنا على الأقدام طويلاً سيكون مريحاً، فمن المستحسن أن نبقى في الظل داخل الحديقة .

أوجست :

«بيير» على حق فمنذ مرضي الذي كدت أموت بسببه ، فقد بقيت ضعيفاً ، أتعب بسهولة في المشاوير الطويلة .

هنري :

علماً بأن «كادبشيون» هو الذي كان السبب في مرضك ويتوجب عليك الانتقام منه .

أوجست :

أنا لا أظن بأن عمله كان متعمداً ، فربما يكون قد خاف من شيءٌ ما على الطريق ، مما جعله يقفز ويرمي بي داخل تلك الحفرة القذرة ، لذا فأنا لا أكرهه ، ولكن فقط . .

بيير :

فقط ماذا ؟

أوجست (محمراً بعض الشئ)

فقط أحبذ أن لا أمتطيه .

أثر فيَّ كثيراً كرم هذا الصبي ، وزاد من ندمي على سوء معاملتي له «كامي» و «مادلين» افترضنا القيام بالطبخ ، فالاطفال كانوا قد بنوا فرناً داخل حديقتهم ، وسخنوه بواسطة الأخشاب الجافه التي جمعوها بأنفسهم .

قبل المقترح بفرح وراح الأطفال يركضون طالبين صداري الطبخ وعادوا ليحضروا كل شيئ في الحديقة .

«أوجست» و «بيير» جلبوا الأخشاب ، وكسروا كل غصن الى اثنين وملأوا الفرن .

وقبل أن يشعلوه ، تجمعُوا لكي يعرفوا ماذا سيقدمون من طعام لغدائهم .

فقالت «كامي»:

«سأعمل أومليتا»

مادين :

أنا سأعمل كريماً بالقهوه .

اليزابيث :

أنا سأعمل مرقاً مخللا بلحم العجل البارد.

بيير :

وأنا سأعمل مرقاً مخلاً بلحم العجل البارد .

هنري :

وأنا ، سلطةً من البطاطس .

جاك :

أنا ، سأعمل فراوله بالكريم .

لويس :

أنا سأقوم بعمل فطائر بالخبز والزبدة .

هنريت :

أما أنا فسأعمل السكر المسحون .

جان :

وأنا سأهيئ الكرّز .

أوجست :

أنا سأقطع الخبز ، وأضعه على المائده وأحضر الماء والشراب وسأقدم الطعام للجميع .

راح كل منهم يطلب في المطبخ ما يحتاجه لكي يحضّر الصحن الذي أراده . فجلبت«كاتي» البيض والزبدة و الملح و الفلفل و شوكة و مقلاة .

وقالت : —

«أريد ناراً لكي أُذيب الزبدة وأُقلي البيض .

يا أوجست . . . يا أوجست النار من فضلكّ .

أوجست :

أين يتوجب عليّ اشعالها ؟

كامي :

قرب الفرن أسرع فأني أهيئ البيض .

مادين :

أوجست ، اركض الى المطبخ ولْابحث لي عن القهوة لكي أعمل الكريمة لقد نسيتها بسرعة ، استعجل .

أوجست :

يجب عليَّ أشعال النار «لكامي»

مادين :

فيما بعد ، أذهب بسرعه الأن وأجلب لي القهوة ، سوف لا يأخذ هذا وقتاً طويلاً فأنا مستعجله .

راح «اوجست» راكضاً .

اليزابيث :

أوجست . أريد معدات لشيئ قطع اللحم فقد أنتهيت من قصها جيّداً .

أوجست الذي ركض باحثاً عن القهوة ، عادة مجدداً لجلب معدات الشيّ .

بيير :

أحتاج الى الزيت .

هنري :

وأنا أحتاج خلاً لسلاطتي : «أوجست» بسرعة الزيت والخل أوجست الذي جلب معدات الشيّ عاد راكضاً باحثاً عن الخل

والزيت .

كامي :

حسناً النار ، أهكذا توقد النار يا أوجست ؟

لقد خلطت البيض وستكون سبباً في عدم تمكني من عمل الأومليت .

أوجست :

لقد كلفوني بأشياء أخرى ، وليس لدي الوقت الكافي لكي أوقد لك الخشب .

اليزابيث :

ومعدات الشيّ ؟ أين هي يا أوجست ؟ هل نسيتها ؟

أوجست :

كلا يا أليزابيث ، لكني لم أتمكن، فلقد ركضت كثيراً

اليزابيث :

لم يتوفر لي الوقت لكي أشوي قطع اللحم ، أسرع يا أوجست .

لويس :

أحتاج الى سكينة لكي أقطع الفطيرة ، بسرعة هات سكيناً يا أوجست .

جاك :

لا يوجد لدي سكرّ للفراوله إسحق السكر ، استعجلي يا «هنريت»

هنريت :

أني أسحق ما أقدر عليه ، ولكن تعبت وأريد الأستراحه قليلاً كما

وأني عطشى جداً !

جان :

تناولي شيئاً من الكرز وأنا أيضا عطشى .

جاك :

وماذا عني ! أريد تذوق البعض منه ، فهذا يرطب اللسان .

لويس :

أريد قليلاً من الكرز أنا أيضاً ، فأن عمل "الفطيرة متعب .

هؤلاء هم الصغار الأربعه الذين يحيطونه بسلة" الكرز .

جان :

لنجلس فأن ذلك أكثر راحه عند تناول المرطبات .

لقد ارتاحوا بشكل جيد ، آكلين كل الموجود في الكرز بحيث لم يبقوا على شيءٌ فنظر أحدهم الى الأخر بقلق .

جان :

لم يتبق منه شيءٌ .

هنريت :

سيقومون بتعنيفنا .

لويس (بقلق) :

يا آلهي ! يا آلهي ! ماذا سنعمل ؟

جاك :

اطلبوا من كادبشيون ليحدثنا ؟**لويس :**

ماذا تريد أن يفعل كادبشيون؟

لن يقدر على عمل شيء ولن يكون هناك كرز ، حيث قد آكلنا كل ما هو موجودا .

جاك :

لا فرق في ذلك كادبشيون ، كادشيوني الطيب . تعال لمساعدتنا . أنظر لهذه السله الفارغه وأعمل على أن تكون ملأى .

كنت قريباً جداً من الصغار الأربعه الشرهين .

وضع «جاك» السلة الفارغة تحت أنفي لكي يجعلني أفهم مايريد مني . شممتها وأتجهت نحو الطريق ذاهباً الى المطبخ حيث كنت قد رأيت سله مليئه بالكرز ، فأخذتها بأسناني وحملتها واضعاً أياها في وسط الاطفال الذين مازالوا جالسين على شكل حلقة بالقرب من نوى وأعقاب الكرز الذي أكلوه . قوبلت عودتي بصرخه فرح ، التفت الآخرون جميعاً لهذه الصرخه ، وسألوا عن الامر .

فصاح «جاك» : —

«أنه كادبشيون ! أنه كادبشيون !

— أخرس ، قالت «جان» فسوف يعرفون بأننا أكلنا كل شيء .

فأجابها جاك : —

— لا يهم حتى وإن عرفوا ! أريدهم أن يعرفوا أيضاً كم هو ذكي وطيب كادبشيون .

وركض نحوهم ، قاصاً عليهم كيف أصلحت شراهتهم هذه ، وبدلاً من أن يوبخوا الصغار الأربعة فقد مدحوا «جاك» على صراحته وأثنوا بشكل كبير على ذكائي .

أثناء هذا الوقت كان «أوجست» قد أشعل النار «لكامي» وجاء بمعدات الشيّ «لأليزابيث» حيث قلّت «كامي» الأومليت ، وأنهت «مادين» عمل الكريم و شوت «اليزابيث» قطع اللحم وقص «بيير» قطعاً صغيره لعمل المقبلات ، خلط «هنري» سلطة البطاطا اما «جاك» فأعد الشليك والكريم و «لويس» انهى عدداً كبيراً من الفطائر و «هنريت» سحنت سكراً كثيراً بحيث راح يتساقط من الوعاء ، و «جان» قشرت الكرز الموجود في السله .

«وأوجست» كان تعباً ، يتصبب عرقاً وضع السفره وركض لجلب الماء البارد لتبريد الشراب ، ولتجميل مظهر السفرة باجزاء من الفجل والمخللات والساردين والزيتون . لكنه نسي الملح ، ولم يفكر بالصحون والسكاكيّن والشوكات ولاحظ بأن الذباب الصيفي والخنافس قد سقطت في داخل الأقداح وفي الصحون . وعندما اصبح كل شيْ جاهزاً ، ضربت «كامي» جبهتها قائلة : -

«آه ! لم ننس إلا شيئا واحداً ، ألا وهو الطلب من أمهاتنا الموافقة على الأكل في الخارج لنأكل ماطبخناه .

- أركضوا بسرعة ، صاح الأطفال ، وأحرس أنت يا «أوجست» الطعام » .

راح الجميع بأتجاه البيت ، دخلوا الى الصالون حيث تجمع اباؤهم وأمهاتهم . وأدهش الأهل وجود الأطفال ، مُحمري الوجوه ، تعبين . يرتدون صداري المطبخ ، فبدا عليهم وكأنهم مجموعة من الطباخين ركض كل طفل نحو والدته ، طالباً منها السماح بتناول طعام الغداء

في الخارج وبعد عدد من التوضيحات والتساؤلات ، حصلت موافقة الأمهات وعادوا مسرعين للألتحاق «بأوجست» لتناول طعام الغداء .
«أوجست» كان قد أختفى .
فصاحوا :
«أوجست ! أوجست ! فأجابهم بصوت قادم من السماء !
- اني هنا ، اني هنا .
رفع الجميع رؤوسهم فرأوا «أوجست» صاعداً الى أعلى شجرة البلوط وقد بدأ بالنزول ببطء وحذر .
فقال له «بيير» «و «هنري» :
«لماذا تسلقت الى أعلى الشجرة ؟ أيه فكرة ساخرة راودتك ! استمر «أوجست» في النزول دون أية أجابة .
وعندما وصل الى الأرض شاهد الأولاد مندهشين كونه أصفر ومرتجفاً .
مادين:
لماذا تسلقت الشجره يا «أوجسبت» وماذا حصل لك ؟
أوجست :
لولا كادشيون ، ما كنتم تجدون لا أنا ولا الطعام،ولكي أنقذ حياتي فقد تسلقت الى أعلى شجرة البلوط .
بيير :
حدثنا بما جرى وكيف تمكن «كادبشيون» من انقاذ حياتك وحفظ غذائنا ؟

كامي :

لنجلس الى المائده ، ونسمعك ونحن نأكل ، فأني أموت من الجوع .

جلسوا على الحشائش حول المائدة قدمت «كامي» الأومليت الذي وجدوه رائعاً و «أليزابيث» قدمت بدورها قطع اللحم المشوي وكان شهياً جداً لكنه مشوي بشكل أكثر من الأعتيادي وبقية الغذاء جاء متتالياً وكان شهياً ومرتبا بشكل جيد .

وأثناء تناولهم الطعام راح «أوجست» يقص عليهم ما حدث : -

«بمجرد ذهابكم ، شاهدت كلبيّ الحقل الكبيرين يركضان ، تشدهما رائحة الأكل ، فتناولت عصاً لطردهما

لكنهما شاهدا قطع اللحم ، الأومليت ، الخبز ، الزبده ، الكريم . . . ألخ

وعوضاً عن أن يخافوا من عصاي فأنهما أرادا الهجوم عليّ فرميت العصا على رأس أكبرهما ، الذي قفز على ظهري

فقال «هنري» : -

كيف ، على ظهرك ؟ لقد أستدار حولك أذن ؟

فأجاب «أوجست» وقد أحمر وجهه : -

-كلا ، فعندما رميت بعصاي ، لم أجد شيئاً أدافع به عن نفسي وأنت تعرف بأنه من غير المجدي أن أدع الكلاب الجائعة تفترسني ، فأجاب ، «هنري» بصوت مستهزئ : -

- لقد فهمت ، لقد أستدرت أنت وهربت .

فقال أوجست : -

- لقد ذهبت للبحث عنكم وركضت وراني هذه الحيوانات الشريرة وعندها جاء «كادشيون» لنجدتي رافعاً بأسنانه اكبر الكلبين من جلد ظهره وقد حدث أثناء تسلقي الشجره أما الكلب الثاني فقد قفز ورائي ممسكاً بملابسي ، وكدت أقطع أشلاء ، لو لم ينقذني «كادشيون» من هذا الحيوان الشرس كادشيون لقد عض الكلب الأول عضه أخيره ورماه في الهواء ، ساقطاً على بعد خطوات مكشراً متألماً . بعدها أمسك «كاديشيون» بذيل الكلب الثاني الذي عض أطراف ملابسي مما أجبره على تركها في الحال ، وبعد أن سحبه بعيداً ، استدار بسرعة مدهشة ورفسه بأرجله على فكه مما سبب حتماً كسر عدد من أسنانه .

هرب الكلبان ، وهما يتأوهان وتهيأت للنزول من الشجره وفي هذه الأثناء جئتم أنتم .

لقد قدروا كثيراً شجاعتي وذكائي وكل منهم أقترب مني يداعبني ويصفق لي : -

قال «جاك» تبدو عليه ملامح الانتصار فعيناه تلمعان من السعاده : -

«أنكم ترون جيداً بأن صديقي كادشيون عاد رائعاً ولا أعرف إن كنتم تحبونه انني أحبه أكثر من أي وقت مضى ، أليس كذلك يا كادشبون أننا سنكون دائماً أصدقاء حميمين ؟

أجبت بكل قوتي بنهيق سعيد ، فرح الأولاد يضحكون وعادوا الى المائده لأكمال غذائهم .

قدمت «مادين» الكريم الذي عملته .

فقال «جاك» : —

«ياللكريم اللذيذ !

أريد منه مجدداً ، علّق «لويس»

— وأنا أيضاً ، وأنا أيضاً قالت «هنريت» «» و «جان»

كانت «مادين» سعيده لنجاح الكريم ومن الجدير بالقول إن الجميع قد نجحوا في أعداد طبخاتهم بشكل جيد وأن الغذاء قد أكل كله بحيث لم يبق منه شيئ .

أنتهى الغذاء وراحوا يغسلون الصحون داخل حوض كبير مملوء

النزهة

جاك

مع كل أسف كوننا غير قادرين على ان نقوم يومياً بعمل غداء مشابه لذاك الذي عملناه في الأسبوع الماضي ، فانه كان مسلياً جداً !

لويس

وكيف أكلنا جيداً !

كامي

مايبدو لي الأحسن، رهو سلطة البطاطا وطبخة اللحم المخللة .

مادين

أني أعرف جيداً لماذا ، ذلك لأن أمي تمنعك في العادة من أكل الأشياء المخللة .

كامي (ضاحكة)

هذا ممكن . فالأشياء التي نادراً ما نأكلها هي دائماً أفضل ، وبشكل خاص عندما نحب تناولها .

بيير

ماذا سنفعل اليوم لكي نُسلي أنفسنا ؟

اليزابيث

هذا صحيح ، فاليوم الخميس، ولدينا وقت فراغ حتى العشاء .

هنري

ماذا لو اصطدنا سمكاً من البركة ؟

كامي

فكرة جيدة ! سنحصل على صحن سمك ليوم الغد .

مادين

وكيف سنصطاد السمك ؟

أوجست

بوساطة شبكة الصيد .

هنري

لكن هذا صعب جداً ، فوالدي يقول ، يتوجب معرفة كيفية رميها .

أوجست

صعب ! ياللجنون ! أنا ، لقد سبق وأن رميتها عشر مرات عشرين مرة وهذا أسهل مايمكن .

بيير

وهل حصلت على سمك كثير؟

أوجست

لم أحصل على السمك، لأني لم أرم الشبكة في الماء .

هنري

كيف؟ اين وعلى ماذا رميتها إذن ؟

أوجست

على الحشائش ، أوعلى الأرض ، فقط لكي أتعلم جيداً كيفية رميها .

بيير

ان هذا ليس الشيء نفسه ، فأني متأكد من أنك سوف لا ترميها بشكل جيد في الماء .

اوجست

بشكل غير سليم ! أتعتقد ذلك ؟ سترى ان كنت أرميها بشكل غير جيد ! سأركض باحثاً عن الشبكة التي تجف في الشمس داخل باحة الدار .

بيير

كلا يا «أوجست» أرجوك ، فأن حصل شيء ما فأن والدي

سيعنفنا .

اوجست

وماذا تريد أن يحدث ؟ كوني أقول لك إن الجميع عندنا يصطادون دائماً بالشبكة . أني ذاهب، أنتظروني فلن أتأخر كثيراً .

ذهب «أوجست» راكضاً ، تاركاً «بيير» و «هنري» غير مرتاحين وقلقين لم يتأخر في الصورة بل عاد ساحبا وراءه الشبكة .

فقال : —

«هاهي ذي وراح يفرشها على الأرض ، الان لتأخذ الأسماك حذرها !

ورمى الشبكة بشكل سليم ، وسحبها بأعتناء وهدوء .

فقال هنري : —

«أسحبها بشكل أسرع ! فهكذا لن ننتهي .

أجاب «أوجست» .

– كلا، كلا ، يجب سحبها بكل هدوء لكي لاتنقطع وان لاندع أية سمكة تفلت» .

أستمر في السحب وعندما أنتهى . وجر الشبكة فارغة، لاتوجد أية سمكة في داخلها .

فقال :

«آوه ! المرة الأولى لاتحسب ، يجب أن لاتفقد الحماس ، لنبدأ مجدداً» .

بدأ مجدداً ، ولكنه لم يوفق بأفضل من المرة الأولى .

فقال : —

أني أعرف السبب ، أني قريب جداً من الضفة ، وهنا لا يوجد ما يكفي من الماء ساصعد الى الزورق . وبما أنه طويل جداً ، فسيكون بعيداً لمسافه جيدة عن الضفة لكي أتمكن بشكل جيد من استثمار الشبكة

فقال «بيير» : —

–كلا « يا اوجست» لا تدخل الى الزورق فمع أن الشبكة قد تعلق بالمجاذيف والحبال فربما تنقلب انتَ في الماء .

فأجاب «أوجست» : —

– أنك مثل الطفل ذي السنتين يا «بيير»

أني أشجع منك وسترى ذلكّ .

ودخل الى الزورق الذي رّاح يتحرك يمنة ويسرة،خاف «أوجست» ولكنه تظاهر بالضحك ، ولاحْظت بأنه سيقوم ببعض الأخطاء فقد فتح الشبكه ونشرها بشكل غير صحيح ، تضايق من حركه الزورق ويداه لم تكونا ثابتتين بشكل جيد وأقدامه تتحرك .ولكن الكبرياء سيطر عليه بشكل كامل فرمى بالشبكه .

الا أن حركته توقفت خوفاً من السقوط في الماء ، فعلقت الشبكه بكتفه الأيسر وأعطته دفعة جعلته يسقط في البركه على رأسه . أطلق «بيير» «وهنري» صرخة فزع اعقبت صرخة الخوف التي أطلقهاسيْ الطالع «أوجست» وهو يسقطً في الماء .

لفّته الشبكه وأعاقت تحركاته ولم تدعه قادراً على السباحه للصعود الى سطح الماء والتقرب من الضفة . وكلما حاول التخلص من الشبكه

كانت تلتف وتضيق اكثر على جسده .

رأيته يغطس رويداً رويداً ، وبعد لحظات اختفى عن أنظارنا . لم يتمكن «بيير» «وهنري» من مساعدته بأي شكل فلا أحد منهم يجيد السباحه وقبل أن يتمكنوا من الأستعانه بالناس سيكون «أوجست» قد فارق الحياة» .

لم أتأخر كثيراً بالقيام بدوري ، فقد رميت نفسي في الماء سابحاً نحوه ، غطست ، حيث كان على عمق كبير تحت الماء – أخذت الشبكه التي تحيط به بأسناني . وسحبتها بأتجاه الضفة ساحباً معها «أوجست» ورائي تسلقت الضفه وهي كثيرة الوعورة ساحباً «أوجست» دائماً معي خائفاً من أن أُسبب له بعض الصدمات في رأسه ونحنُ نمر فوق الحجارة وجذوع الأشجار لحد أني أوصلته الى الأعشاب حيث بقى دون حراك .

ركض «بيير» «وهنري» مصفرى الوجوه مرتجفين وقفا بجواره محاولين تخليصه من الشبكه بصعوبة ظاهرة وعندما شاهدا «كامي» و «مادين» راكضتين تجاهما ، طلب منهن الذهاب للبحث عن نجدة .

الصغار الذين شاهدوا من بعيد سقوط «أوجست» جاءوا راكضين ايضاً وساعدو «بيير» و «هنري» في مسح وجهه وشعره المبتلين بالماء .

خدم المنزل لم يتاخروا عن المجئ .

حُمل «أوجست» فاقد الوعي وبقي الأطفال وحدهم معي .

فصاح «جاك» :–

«رائع يا كادشيون ! أنك أنت الذي أنقذت حياة «أوجست» ! هل شاهدتم جميعاً كيف رمى بنفسه الى الماء بكل شجاعة .

لويس:

نعم ، بالتاكيد وكيف غطس لكي يمسك بأوجست ؟

اليزابيث:

وكيف سحبه على الأعشاب بكل ذكاء؟

جاك .

مسكين يا كادبشيون ! أنك مُبتل !

هنريت:

لا تلمسه يا «جاك» فسوف تبتل ملابسك ، ألا ترى كيف إن الماء يجري من كل مكان في جسمه ؟

فأجاب «جاك» وهو يمرر يده على رقبتي :-

«وماذا يعني ! ماذا سيجري لي ؟ لو ابتللت قليلاً فلن أبتل مطلقاً بقدر كادشيون .

لويس:

بدلاً من تقبيله ومدحه من الافضل أن نأخذه الى الحظيرة حيث هناك بأمكاننا أن ننشفه بواسطة القصب وهناك سنعطيه علفاً لكي يسخن ويستعيد قواه . .

جاك:

ما تقوله عين الصواب ، أنت على حق هيا يا كادبشيوني. تبعت «جاك» و «لويس» اللذان سارا بأتجاه الحظيرة وهما يشيران لى بمصاحبتها .

راح الاثنان يمسحان جسمي بالقصب بحيوية لحد أنهما تصببا عرقاً

ولم يتركا هذا العمل ! إلا بعد أن أصبح جسمي ناشفاً تماماً .

أثناء ذلك التحقت بنا «هنريت» و «جان» يمشطون ويصففوا عُرفي وذيلي .

أصبحت رائعاً عندما أنتهوا من ذلك ، ورحت آكل بشهية غير اعتيادية مما قدموه لي من هرطمان .

عندما اقتربنا من القصر، شاهدت بفرح «أوجست» جالساً على العشب مع أصدقائه . وبمجرد مشاهدتي نهض قادماً نحوي وقال وهو يداعبني :-

«ها هو منقذي ، ولولاه لكنت الآن في عداد الموتى ، لقد فقدت وعيي في اللحضة التي سحب فيها كادشيون الشبكة وبدأ بسحبي الى الأرض . لقد شاهدته جيداً وهو يرمي بنفسه الى الماء ويغطس لأنتشالي . لن أنسى مطلقاً هذه الخدمة التي قدمها لي . وأبداً لن أحضر الى هنا دون تحية كادشيون ، فقالت الجدة :-

- ما تقوله يا «أوجست» حسن جداً فعندما يكون لنا قلب وأحساس فأننا نتمنى حتى للحيوانات ما نتمنى للانسان .

أما بالنسبة لي ، فأني سأذكر دائماً الخدمات التي قدمها لنا كادشيون ومهما حدث ، فأني قررت أن لا أفترق عنه أبداً .

كامي:

لكن ياجدتي ، قبل بضعة أشهر ، كنت تريدين أرساله الى الطاحونة . وكان سيصبح هناك تعيساً جداً .

الجدة

لم أبعثه الى هناك يا أولادي،فلقد فكرت بهذا قليلاً. هذا صحيح بعد ما فعله مع «أوجست» وبسبب أعماله الصغيرة الشريرة التي تضايق منها كل من في المنزل .

لكني قررت الإحتفاظ به هنا مكافئة له على أتعابه السابقة .

أما الآن فأنه لن يبق فقط معنا ، وأنما سأسهر على أن يكون سعيداً بيننا .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٨٠ لسنة ١٩٨٨

مطبعة سومر هاتف ٧١٩٩٧٤٣

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٨٠ لسنة ١٩٨٨

مطبعة سومر هاتف ٧١٩٩٧٤٣